محمود فوزى

جارودى والإسلام

وغضب الصهيونية



هذا الكتاب

يتعرض هذا الكتاب لأخطر حملة صهيونية ضد المفكر « رجاء جارودى » ويواجه « جارودى » عناقيد الغضب الصهيونية في صورة حقد مكشوف ضد حرية الكلمة وكشف الحقائق كما صرح بها في كتاباته الجريئة .

★ جارودى من المسيحية إلى الإسلام .

★ يهود فرنسا بلا ورقة توت .

★ الكتاب الذى تفجر شظايا فى وجه الصهيونية

★ جارودى يكشف اللوبى الصهيونى الأمريكى .

★ ألمانيا واليهود من الأفران النارية إلى الانحرافات المالية .

مكتبة معروف إخوان

ـكندرية - ٤ ش سعد زغلول - ت : ٨١٠٨٢٨

القاهرة - ٤٣ ب ش رمسيس - ت ٥٧٤٣٦٢١
٢٦١١٢٢٥

خمسة جنيهات

جارودى والإسلام

وغضب الصهيونية

محمود فوزى

مكتبة معروف إخوان
اسكندرية - ٤ ش سعد زغلول - ت: ٨١٠٨٢٨
القاهرة - ٤٣ ب ش رمسيس - ت: ٥٧٤٣٦١١

إخراج المكتب الفنى
للمركز العربى للنشر والتوزيع

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

مقدمة

أدق تعبير يمكن أن يوصف به المفكر الفرنسى المسلم رجاء جارودى الآن أنه يواجه عناقيد الغضب الصهيونية !

أما عناقيد الغضب فهى تحاول أن تقتلع الرجل من جذوره لأنه تجرأ وحاول أن يعيد كتابة التاريخ اليهودى بصورة صريحة صادقة من خلال كتابه الذى نزل على رأس الصهيونية العالمية كالصاعقة : «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» والذى فند فيه كل المزاعم الصهيونية وكانت النتيجة تقديم الرجل للمحاكمة وفقاً للقانون الفرنسى الصادر عام ١٩٩٠ وينتظر جارودى (٨٣ عاماً) عقوبة تصل إلى السجن لمدة عام !

بل أكثر من ذلك ، فقد التف اللوبى الصهيونى الإعلامى حول عنق جارودى محاولاً أن يقصف قلمه إلى الأبد من خلال أجهزة الإعلام ويسمع جارودى التهديدات باغتياله علناً من خلال أجهزة الإذاعة والتليفزيون ، بل إن هناك برامج مخصصة لذلك بتمويل صهيونى يظهر فيها من يقول :

«سأقتل جارودى .. سأضربه بالرصاص لأنه أهان اليهودية ويحاول تشويه صورة أجدادى !! » .

وليست المرة الأولى التى يتعرض فيها جارودى إلى مثل هذه العداءات الصهيونية فقد رفعت منظمة (ليكرا) دعوى على

جارودى عام ١٩٩٢ لأنه انتقد السياسة الإسرائيلية فى حرب لبنان ورغم أن الدعوى رفضت وحكم على (ليكرا) بالمصاريف فى محكمة الدرجة الأولى ثم فى محكمة النقض إلا أن الناشر وهو دار «بابيريس» اضطر إلى إعلان إفلاسه فوراً كما سحبت دار نشر البايتروس كتاب «فلسطين أرض الرسالات الإلهية» من أسواق التوزيع بعدما تعرضت واجهات المكتبة الزجاجية للتحطيم وتلقى الناشر تهديداً بالحرق داخل المكتبة !.

إنها صورة واضحة لا تحتاج إلى أى تعليق تبين عودة عصر محاكم التفتيش وعصر نابليون الثالث الديكتاتورى من جديد إلى باريس عاصمة النور والحرية ! وأن اليهود أصبحت لهم اليد الطولى الآن فى فرنسا !

ففى صباح الخامس والعشرين من أبريل سمع رجاء جارودى طرقات على باب منزله وفتح الباب فوجد أحد المحضرين وهو يسلمه ورقة بطلب الحضور إلى المحكمة للرد على قائمة اتهامات قدمها اليهود ضده ويطالبون بمحاكمته لما اقترفه (١) من مهانات وأكاذيب ضدهم وضد التاريخ العبرى اليهودى من خلال كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) .

فى البداية لم يصدق جارودى نفسه وهو يقرأ فحوى

---

(١) الفيجارو : ٢٦ ابريل ١٩٩٦ .

الدعوى فبادر بالاتصال بأحد أصدقائه المقربين وهو «الأب بيير» الذى يعد أحد الشخصيات الفرنسية البارزة المشهود لها بالموضوعية والنزاهة من الساحة الإعلامية والفكرية فى فرنسا وهو الصديق الصدوق لجارودى الذى أعلن أنه يقف بكل كيانه مؤيداً جارودى فى كل مواقفه وحاولت بعض الصحف الفرنسية الإيقاع بين الأب بيير وصديقه جارودى ، فنشرت كذباً وبهتاناً بتشجيع من اللوبى الصهيونى أن الأب «بيير» قد تخلى عن صديقه فما كان من «الأب بيير» إلا أنه أعلن ونشر تكذيباً فى صدر الصفحة الأولى من جريدة «ليبراسيون» . (٢)

وجدد مساندته له ولم يكتف بذلك بل ندد واستنكر وشجب كل الذين يعرقلون من يحاول أن يعرف حقيقة حرق اليهود فى أفران النازى وقال بالحرف الواحد : هل يعقل أن يحاكم كل من يحاول أن يعرف تاريخ الهولوكست ؟! هل الوصول إلى الحقيقة أصبحت جريمة هذا العصر ؟!

وقامت الدنيا ولم تقعد .. كيف يصرح الأب بيير بهذه التصريحات التى تقلب تاريخ اليهود رأساً على عقب ؟!

وتصدى له اليهود فى الصحافة والإذاعة والتليفزيون وأصبحت فرنسا مسرحاً كبيراً تؤدى عليه مسرحية هزلية

---

(٢) جريدة ليبراسيون الفرنسية : ٣ مايو ١٩٩٦ .

أبطالها هم اللوبى الصهيونى ومن إخراج يهود فرنسا !.

أما أبطالها فهم على وجه التحديد : الحاخام الأكبر ليهود فرنسا جوزيف سيترول والوزير الفرنسى الأسبق «برنار كوشنر» والطبيب الفرنسى الشهير «شوانزبرج» وقد حرك الحاخام الأكبر ليهود فرنسا سيتروك كل اللوبى الصهيونى للرد على الأب بيير ويؤكد بعض المقربين من سيتروك أنه هو الكاتب الحقيقى لمعظم هذه الردود التى نشرت فى الصحف الفرنسية . (٣)

أما شوانزبرج فقد كتب رسالة شديدة اللهجة إلى الأب بيير لم تخلُ من عبارات بذيئة مثل أنت أفاق ومنافق وأفكارك كلها لا تعدو أن تكون نوعاً من الهرطقة البذيئة !.

أما الوزير الأسبق كوشنر فقد كتب مقاله فى ليبراسيون يهتم فيها الأب بيير بالعنصرية ويهتم فيها جارودى بمعاداة السامية ويطالب فيها بأن يخلع الأب بيير رداءه الدينى وأن يصبح مواطناً عادياً !.

ولقد كتب الأب بيير مقاله فى شكل بيان يدين فيها كل الذين هاجموه ثم اعتصم بإحدى المناطق النائية بعيداً عن التعصب اليهودى خاصة بعد أن تلقى تهديدات مؤكدة باغتياله

---

(٣) لوموند الفرنسية : ١٧ مايو ١٩٩٦

وفصل رأسه عن جسده !

أما منظمة «ليكرا» فقد اجتمعت وقررت طرد «الأب بيير» الذى كان أحد مؤسسيها من صفوفها وطرده نهائياً من المنظمة عقاباً له على ما اقترفه فى حق اليهود .

ولم يكتف اللوبى الصهيونى بذلك إزاء الأب بيير فقد وجه إليه ضربة أخرى من خلال اجتماع مجلس أساتذة الكنائس الكاثوليكية الذى أصدر بياناً أدان فيه موقف أحد أعضائه وهو الأب بيير وأشادوا بموقف اليهود تجاهه وأقروا حرق النازى لليهود فى أفرانهم ! .

وعلى هذا سوف يقدم كل من جارودى والأب بيير إلى المحاكمة طبقاً للقانون (جايسو - فابيونى) بتهمة معاداة السامية وهذه جريمة تشكل جناية وليست جنحة طبقاً لهذا القانون التعسفى . !(٤)

ويقول رجاء جارودى إن ما جاء فى كتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية يؤكد على أن سياسة إسرائيل وحدودها غير مقدسة وأنها مثل غيرها من الدول التى أقامت كيانها السياسى نتيجة حروب وصراعات وعلاقات غير مشروعة ! .

---

(٤) الفيجارو الفرنسية : بتاريخ ٢١ ، ٢٢ مايو ١٩٩٦

ويضيف جارودى على أن النصوص التوراتية أو اضطهاد هتلر لليهود لا يمكن أن يبررا سرقة أراضى الفلسطينيين وطردهم ومحقهم بصورة دموية كذلك لا يمكن أن يبررا خطة تقسيم كل الدول العربية وهى الهدف الأساسى الذى يطمع إليه كل يهود العالم .

وقد نصح جارودى الأب بيير بألا يتجاوز مع «جان كان» الذى عين مؤخراً رئيساً للجنة الوطنية الاستشارية لحقوق الإنسان مكافأة له على نجاحه فى إدانة جارودى والتصدى له بقوة ! ومن المعروف أن «جان كان» رئيس المجمع الدينى المركزى الإسرائيلى فى فرنسا .

ومن مفارقات الأيام أن شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل السابق هو المتزعم الحقيقى لكل الانقلابات التى قام بها يهود فرنسا على السياسات الفرنسية ، فمن قبل قام بتأليب الكنيسة الفرنسية على الرئيس الفرنسى شارل ديجول حين اتخذ بعض العقوبات ضد إسرائيل مما دفع ديجول نفسه أن يطلق عبارته الشهيرة :

«لم أكن أعرف من قبل أن فرنسا أصبحت يهودية ؟!! (٥)

وهو أيضاً الذى يقود يهود فرنسا ضد رجاء جارودى ! ..

---

(٥) مذكرات شارل ديجول

ويبدو أن التاريخ يعيد نفسه من جديد !

وجارودى رجل فى قلب العاصفة فقد تحمل الأمرين من قبل وتعرض للاعتقال فى مقتبل شبابه من النازية وتعرض للإعدام وكاد حبل المشنقة أن يلتف حول رقبته أثناء فترة تجنيده فى الجزائر ولكن سماحة الإسلام حالت دون ذلك .

وتعرض لضغوط شديدة من اللوبى الصهيونى حين اعتنق الإسلام قبل عشر سنوات وهوجم هجوماً شديداً ولكنه تحمل بصدق شديد كل عذابات العصر وكأنه بروميثوس من أجل اعتناق الإسلام ، وقيل يومها إنه أسلم من أجل أموال القذافى التى أغدقت عليه وكانت شائعة كريهة أطلقها اللوبى الصهيونى الذى يتتبع الآن كل خطوة يخطوها جارودى وكل نفس يتنفسه من أجل إزهاق روحه والقضاء على آخر نفس له فى الحياة بعد أن بلغ الثالثة والثمانين من عمره .

ويتعرض جارودى الآن بعد صدور كتابه الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) والذى يعتبره اليهود بمثابة وثيقة على معاداة السامية ورفض التاريخ الرسمى لإسرائيل الذى يؤكد على أن عدد الضحايا اليهود فى الحرب العالمية الثانية بلغ ٦ ملايين قتيل !! (٦)

---

(٦) جريدة الأنباء الكويتية : ٥ مايو ١٩٩٦

ويواجه جارودى تهديداً بالسجن لمدة عام وغرامة قدرها ٣٠٠ ألف فرنك وهو ما يوازى ١٠٠ ألف جنيه مصرى

ومن المفارقات الغريبة أن جارودى هو أول من سيحاكم بالقانون الفرنسى الجديد «قانون جيسون» والذى صدر فى ١٣ يوليو ١٩٩٠ والذى يعاقب كل من ينفى اضطهاد اليهود فى الحرب العالمية الثانية فقد اعتبر ذلك جريمة يعاقب عليها القانون الفرنسى !! مع أن فرنسا هى بلد الحريات !

وهذا يدخل تحت طائلة حرية الرأى ولكن اللوبى الصهيونى فى باريس والمسيطر على كل شئ فيها استطاع أن ينجح فى إصدار هذا القانون التعسفى !

وفى حديثه الهام إلى الزميل الأستاذ شريف الشوباشى فى باريس قال جارودى لقد رأيت الأهوال فى حياتى وواجهت الموت اكثر من مرة ثم ما الذى يمكن أن أخسره الآن وأنا فى الثالثة والثمانين من عمرى . (٧)

لكن ما يحزننى اليوم هو أن هذه الهجمة الشرسة التى تستهدفنى لا تقوم على أساس من الإنصاف فالغالبية الساحقة لديها الاتهام رغم أنهم لم يقرءوا كتابى لكن أصواتهم ترتفع لتغطى على كل هذه الأصوات الأخرى والمشكلة هى أننى لا أملك

---

(٧) جريدة الأهرام : ١٧ مايو ١٩٩٦

إمكانية الدفاع عن نفسى .. فقد حاولت نشر ردود فى الصحف ووسائل الإعلام الفرنسية بموجب حق الرد المعترف به فى كل مكان في العالم لكنها رفضت جميعاً نشر حرف واحد مما/أرسلته وألقت به في سلة المهملات

وجارودى بالتالى متهم لا يملك حق الدفاع عن نفسه وكل من ساندوه واجهوا إرهاباً فكرياً وضغوطاً رهيبة حتى إن الأب بيير وهو اكثر شخصية شعبية فى فرنسا كلها الذى وقف فى صفى مضطر إلى الإقامة خارج باريس .

ويقول المفكر الكبير جارودى للأستاذ شريف الشوباشى رداً على تساؤله : وهل تعرضت لتهديدات ؟! (٨)

هناك مستمع بإذاعة فرنسا انتير نادى بقتلى على الملأ والتليفون فى منزلى لا يكف عن الرنين فى ساعات متأخرة من الليل وفى الفجر ثم لا أجد من يرد على .. أعلم أنهم يتابعوننى ويريدون تخويفى !

ما أتعرض له الآن أشبه بعمليات الشنق على الأشجار دون محاكمة والتى كانت سائدة فى أمريكا فى زمن رعاة البقر .. وأنا أتساءل أين كان كل هؤلاء الذين أصابهم الصرع من كتابى عندما انهالت القنابل على رؤوس المدنيين الأبرياء خلال الأسابيع

---

(٨) المصدر السابق

الماضية ؟! أين كان هؤلاء الذين يدعون الدفاع عن حقوق الإنسان؟ لم ينبس أحدهم بكلمة واحدة للاعتراض على هذه الجرائم البشعة .. لكنهم يصيحون ويلطمون الخدود على كتابى الذى أحاول أن أستكشف فيه حقائق التاريخ الحديث فى ضوء شهادات كثيرة منها صادر عن قادة الصهيونية وأهم المدافعين عنها .

ويقول رجاء جارودى عن الاتهام الذى وجه إليه بشأن كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) الذى أثار ضجة كبيرة :

فى ١٩ مارس ١٩٩٦ ووجهت باتهام من قاضى التحقيق بسبب كتاب :

«الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» الذى أقول فيه إن النصوص التوراتية واضطهاد هتلر لليهود لا يمكن أن يبررا السطو على الأراضى الفلسطينية وطرد الشعب الفلسطينى والقمع الدموى الذى يتعرض له .

وفى محاكمات نورمبرج كان هناك تمييز بين الجرائم المقترفة ضد السلام ، بمعنى من الذى تسبب فى الحرب ثم جرائم الحرب أى فرق بين القواعد الحربية المتعارف عليها وتلك الجرائم المقترفة ضد الإنسانية ، أى الجرائم التى راح ضحيتها

المدنيون ، وهى الجريمة التى يدعون أننى ارتكبتها بكتابى الأخير لكن الحقيقة أن النموذج الملموس لهذا النوع الأخير من الجرائم هو ما اقترفه السيد شيمون بيريز ضد المدنيين الأبرياء فى قانا .

إن الاتهام الموجه إلىّ غير قانونى وباطل من أساسه فكتابى صدر من دار نشر غير توب التى تطبع الأعمال التى توزع على مجموعة محدودة من المشتركين بها وبالتالى فالكتاب لا يدخل فى مجال النشر الجماهيرى العام وهو الركن الأول للاتهام ! (٩)

ومن المفارقات الغريبة أن دستور الجمهورية الخامسة الذى أصدره الجنرال ديجول عام ١٩٥٨ لم ينص على حرية الرأى والنشر والصحافة فى مواد خاصة كما جاء فى الدساتير السابقة عليه ، فقد اعتبرها الدستور من البديهيات التى ليست فى حاجة إلى نصوص لتأكيدها ولكن الدستور اكتفى فى المقدمة فقط بذكر حرية الرأى والنشر والصحافة التى يكفلها القانون الصادر فى فرنسا عام ١٨٨١ ولم تحدث عليه أية تعديلات سوى فى عامى ١٩٣٦ و ١٩٤٦ ولا توجد بالتالى جرائم الرأى فى فرنسا على الإطلاق إلا منذ عام ١٩٩٠ حين نادت المنظمات الصهيونية فى باريس لإيجاد عقوبات لتفشى جرائم الرأى وخاصة فيما

(٩) جان لوبون : مقالة فى ليبراسيون : ١٦ ديسمبر ١٩٩١ .

يتعلق بانتقاد اليهود ورفض وتفنيد أنهم عُذبوا وقُتلوا فى الحرب العالمية الثانية وهذا القانون أعاد إلى الأذهان محاكم التفتيش وعاد بفرنسا إلى دستور ١٨٥١ الرجعى والتعسفى أيام نابليون الثالث!

وكانت أول سابقة لهذا القانون هى محاكمة جارودى بشأن كتابه الجديد الهام !.

إن جارودى لا يعادى اليهودية ولكنه يكشف الاعيب الصهيونية وسياسة إسرائيل على مدى تاريخها المؤلم والمؤسف.

ومن حق جارودى أن يفضح الصهيونية أمام العالم لأنها عقيدة سياسية ارتبطت منذ عام ١٨٩٦ بالحركة التى أسسها «هرتزل» وهى عقيدة قومية ولدت مع القومية الأوربية فى القرن التاسع عشر كما يعترف «هرتزل» بنفسه فى مذكراته بذلك فهى عقيدة استعمارية ولا شك فى ذلك بدأت بتحقيق شركة ذات امتيازات تحت حماية انجلترا على أمل تحويلها إلى دولة يهودية .

ويؤكد جارودى على أن «هتلر» دفع بمجموع اليهود إلى الذهاب إلى فلسطين المتحدة الأمريكية وذلك منذ عام ١٩٤٢ وقضت المنظمة العالمية على معارضة اليهود المحافظين على التقاليد الروحية لأنبياء إسرائيل .

وقد سبق من قبل للعالم إينشتاين عام ١٩٣٨ أن أدان هذه

التوجهات حين قال :

«إن إحساس الذات بالطبيعة الأساسية لليهود لا يتفق مع وجود دولة يهودية على الخريطة وجيوشها وسلطتها الدنيوية» .

إن هذا الكتاب الهام هو فى الحقيقة ابقى من الزمن علي الزمن لأنه يكشف ويفضح الصهيونية واساليبها الملتوية بمنتهى الوضوح فالصهيونية تمتد وتتشعب فى كل بلاد العالم وهذا الأخطبوط الصهيونى بأطرافه المتعددة قد سيطر علي نظم الحكم والسياسة والأدب والاقتصاد فى معظم دول العالم .

ورجاء جارودى صاحب مجهر جديد يكشف من خلاله البصمات الجديدة للصهيونية ذات الأصابع الأخطبوطية وقد تكون البصمة حادة واضحة تراها العين المجردة وقد تكون باهتة تحتاج إلى ميكرسكوب ولكن يستحيل وجود بصمتين متطابقتين .. فاليهود مختلفون كالبصمات لكن هدفهم واحد وقد قالها الوزير النمساوى «مترينخ» الذى استطاع أن يحكم الدبلوماسية الأوربية اربعين عاماً كل بلد له يهود من نوعه ! .

لقد كشف «رجاء جارودى» من خلال كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» حقيقة إسرائيل فالكتاب تعرية بلا ورقة توت واحدة للجيش الصهيونى بأحجامه الطبيعية ووظائفه الفسيولوجية واجهزته المدمرة وعقله التخريبى وقلبه

المغلف بالعناد !.

وقد استند جارودى فى كتابه على أكثر من ٢٠٠ مرجع من أهم المراجع التى تدين الصهيونية وتكشف النقاب عنها من التوراة إلى مؤلفات زعماء الصهيونية إلى أقوال زعماء إسرائيل الأقدمين والمحدثين إلى الصحف والمجلات الأوربية والأمريكية والموند والواشنطون بوست وغيرها . (١٠)

ولأن جارودى منذ البداية أدرك أنه سيواجه عاصفة هوجاء وأعاصير عاتية من اللوبى الصهيونى والرابطة الدولية لمناهضة العنصرية ومعاداة السامية والتى تعرف باسم رابطة «ليكرا» وهو ما حدث بالفعل بعد صدور الكتاب ، فإن جارودى كان حريصاً كل الحرص على إدراج المراجع وتاريخ النشر عقب كل فقرة أوردها فى الكتاب ليكون الكتاب وثيقة سياسية وفكرية دامغة فى مواجهة الصهيونية .

ولقد تلقى جارودى منذ صدور كتابه وحتى مثول هذا الكتاب الذى بين يديك أكثر من عشر تهديدات سواء عن طريق التليفون أو البريد أو الإذاعة والتليفزيون !

نعم الإذاعة والتليفزيون ولا ترفع حواجبك دهشة عزيزى القارئ . فقد سمع ورأى العالم كله اليهود من خلال شاشة

(١٠) كامل زهيرى : مجموعة مقالات فى جريدة الجمهورية .

التليفزيون وميكرفون الإذاعة من يقول على مرأى ومسمع من جارودي :

لن تفلت من أيدينا سوف نقتلك .. العقاب فى الطريق إليك جزاء ما اقترفت فى حقنا !!

إذن تهديد اليهود علنى وواضح ولا يحتاج إلى أى تأكيد وينتظر جارودى عقاباً بالسجن لمدة عام بعد أن وصل من العمر أرذله حيث يبلغ الآن ٨٣ عاماً ! ومع ذلك يتمتع جارودى برباطة جأش ورجاحة عقل ونفس راضية بقضاء الله ولطفه .

ولقد نشر يهود فرنسا والجمعيات الصهيونية بها بياناً يؤكد على أن رجاء جارودى الكاتب المسلم يعادى اليهودية والسامية وأنه آخر سلالة النازية المعاصرة وأنه يستهدف دائماً دولة إسرائيل ويدافع عن العرب وينتقل من عاصمة عربية إلى أخرى بحثاً عن المال والشهرة !(١١)

ونشرت منظمة «ليكرا» إعلاناً فى الصحف الفرنسية يدين كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» وتعتبره كتاباً مدفوع الأجر من الزعماء العرب عند إسرائيل ومحاولة تشويه وتلطيخ وجه اليهود فى العالم !

وهذا الكتاب الذى بين يديك عزيز القارئ وثيقة عصرية

(١١) لوموند الفرنسية : ٢٨ أبريل ١٩٩٦ .

تفضح ألاعيب الصهيونية عند مفكر فرنسى مسلم هو رجاء جارودى . ومن حقنا أن نعرى الصهيونية وأن نعرف عنها الكثير فى صورتها العصرية وفى مواجهة الفكر المستنير الحر .

ولسنا وحدنا الذين نحاول أن نعرف عنهم .. فإنهم حاولوا ويحاولون أن يعرفوا عنا الكثير وكان «بن جوريون» رئيس وزراء إسرائيل الأسبق يحاول أن يحفظ سوراً كاملة من القرآن الكريم كما كان «ابا ايبان» يجيد اللغة العربية ويتعمق فى دراسة التراث العربى والتاريخ العربى ، وكان يقوم بتدريس اللغة العربية والأدب العربى للطلبة فى جامعة كامبريدج وترجم (يوميات نائب فى الأرياف) لتوفيق الحكيم إلى اللغة العبرية ، والشاعر اليهودى «يهودا هاليفى» الذى عاش فى أسبانيا خلال الحكم العربى الإسلامى للأندلس كان يتغنى بالصهيونية بقصائد عربية !!

المعرفة سلاح .. وسلاح قوى وخفى فى معركتنا ضدهم . لابد من منظار جديد يكشف جرائم الصهيونية !!

وإلا انطبق علينا المثل المعروف عن أولئك العميان الذين أرادوا معرفة فيل ضخم فوقعت يد أحدهم على ذيله فقال لأصحابه .. إن هذا الفيل هو شئ رفيع قصير ووقعت يد الثانى على أذنه فقال بل هو شئ كالمروحة ولمس الثالث ساقه فأعلن أنه

شئ كالعمود أما الرابع فاصطدم ببطنه وصاح لا بل هو كالحائط وهلم جرا وحتى لا تكون مثل هؤلاء العميان لابد لنا أن نقرأ . أن نرفع ظلام الجهل عن العقول والقراءة وحدها لا تكفى .. لابد أن نقرأ بوعى وإدراك لما نقرأ لأن الأصابع الصهيونية التى امسكت بالأقلام لتكتب تنشر سمومها من خلال ما تكتبه دون أن يحس القارئ بذلك نقرأ بوعى وإدراك .. لأن الإنسان القارئ تصعب هزيمته !!

محمود فوزى

جـــارودى

من المسيحية إلى الإسلام !

رجاء جارودى علامة بارزة فى تاريخ الفكر الإنسانى فى القرن العشرين وواحد من أكبر مفكرى هذا القرن وصاحب التحولات الدرامية التى أثارت جدلاً كبيراً بين المثقفين والقراء فى العالم وكبش الفداء للصهيونية العالمية .

ورحلته من المسيحية إلى الإسلام مثيرة للغاية فهو ليس شخصاً عادياً ينتقل من دين إلى آخر ولكنه مفكر كبير وباحث مدقق وكاتب مستنير انتقل عبر فلسفات مختلفة وقرأ كل الأديان ورست به سفينته الفكرية إلى شواطئ الإسلام الدافئة وأعلن إسلامه وسافر لأداء فريضة العمرة وسط ضجة عالمية قلبت الأمور رأساً على عقب وقد ناصبه اليهود والصهيونية العالمية العداء .

ولد المفكر العالمى روجيه جارودى عام ١٩١٣ فى مدينة مارسيليا بفرنسا من أبوين بروتستانتيين .

وفى عام ١٩٣٩ التحق بالجيش الفرنسي ولكن سرعان ما أسر عام ١٩٤٠ واحتجز فى معسكر للاعتقال بالجزائر ظل فيه حتى أفرج عنه فى عام ١٩٤٣ وفى عام ١٩٤٥ انتخب جارودى نائباً بالجمعية الوطنية الفرنسية وقد اختير نائباً لرئيس الجمعية ثم انتخب بعد ذلك عضواً فى مجلس الشيوخ .

ورجاء جارودى له أكثر من ٢٥ كتاباً على مدى ٤٠ عاماً وهو

كاتب روائى أيضاً .

وكان جارودى نائباً عن دائرة «السين» بفرنسا ونائب رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية ما بين عامى ١٩٥٦ و ١٩٥٨ وعضو مجلس الشيوخ ما بين ١٩٥٩ ، ١٩٦٢ كما أسس مركز الدراسات والأبحاث الفكرية والأيديولوجية عام ١٩٦٠ وكان مديراً له حتى عام ١٩٧٠ .

ولقد خرج جارودى من الحزب الشيوعى الفرنسى عام ١٩٦٩ بعد أن ثار على سياسة وفكر الحزب وكان أحد أعضاء لجنته المركزية ومكتبه السياسى

وتكمن أهمية جارودى فى قدرته الخلاقة على تطوير وتجديد فكرة وصياغة بنيانه الفكرى وتصحيح مواقفه الفكرية ، ويوضح ذلك حصوله على درجتين للدكتوراه الأولى من جامعة باريس سنة ١٩٥٣ حول النظرية المادية فى المعرفة ، والثانية من جامعة موسكو سنة ١٩٥٤ حول الحرية .

سر التحول الكبير

ولكن لماذا انتقل جارودى من المسيحية إلى الماركسية إلى الإسلام ؟! حين كان جارودى عضواً فى الحزب الشيوعى الفرنسى كان اهتمامه منصباً على إجراء حوار بين الماركسية والمسيحية وقد أثار كتابه هذا ضجة عالمية ، وقد ترجم إلى ١٤ لغة

وأثار خلافاً بين الماركسيين والمسيحيين مع أن أحد رجالات الفاتيكان هو الذى قدمه للقراء .

وكان جارودى يعتبر الماركسية منهجاً للمبادرة التاريخية لا باعتبارها نظرية عامة للكون .. وهذه حقيقة تاريخية طرحها ماركس نفسه وحرفها تلاميذه وتعسفوا فى تفسيرها وحولوها إلى قانون معيارى تفسر به الظواهر المشابهة . (١٢)

وقد طرح جارودى هذه القضية من حيث أن الغرب قد فسر المسيحية تفسيراً يونانياً وأخرجها عن روحها الحقيقية عندما قال لقد تعرضت الصهيونية للإسلام بالهجوم والأفتراءات بالرسول ﷺ لم يدّع انه يؤسس ديناً جديداً ، وإنما ذكّر بالعقيدة الأساسية لإبراهيم الخليل التى شوهها اليهود وحصروها فى أنفسهم باعتبار انهم «شعب الله المختار» .

ولكن كيف أسلم جارودى ؟!

عندما تخرج جارودى من الجامعة لم يكن يعرف شيئاً عن الإسلام وقد تم تجنيده فى مقتبل حياته فى الجيش وذهب ليحارب فى الجزائر .. وهناك تم أسره ..

وكانت هناك صيحات تنادى بقتل هذا الجندى الفرنسى !

(١٢) الأهـرام ابدو ٥ فبرايـر ١٩٩٥ Lintegrismc fait Le choix de la guerre .

إلا أن أحد الثوار الجزائريين رفض تنفيذ الأمر لأن قتل الأعزل ليس من قيم وشيم الإنسان المسلم ومن هذه الإشراقة الإيمانية بدأت رحلة جارودى مع الإسلام وبدأ يفكر فى تلك العقيدة التى كونت محارباً بتلك القيم السامية وبعد دراسة عميقة للدين الإسلامى أعلن جارودى إسلامه عن اقتناع صادق وإيمان بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليوم الآخر (١٣)

ولقد سخر البعض من إسلام جارودى وشهروا به قائلين إنه قبض ثمن إسلامه من العقيد القذافى ! وإنه أسلم من أجل المال إلى آخر ما قيل !

وقد أشهر جارودى إسلامه فى ٢ يوليو عام ١٩٨٢ على يد الشيخ محمد بوزوزو إمام مسجد المؤسسة الثقافية الإسلامية فى جنيف .

ويرى جارودى أن الأسباب التى أدت إلى انتشار الإسلام هى طبيعة الإسلام ذاته ومضمونه العميق فالإسلام لم يشأ أن يفصل العلم عن الحكمة ولم يعزل أى فرع من فروع العلم عن العقيدة .. التى يرى أنها أغلى هدف بل هى معنى الوجود ذاتــه (١٤)

---

(١٣) الأهرام أبدو ١٥ فبراير ١٩٩٥ Lintegrisme fait le choix de la guerre

(١٤) نفس المصدر السابق .

وثمة هدف ثان هام هو انفتاح الإسلام على الحضارات الأخرى وتسامحه تجاه الأديان الأخرى ، فقد تقلد يهود ونصارى وطوائف أخرى وظائف هامة فى حكومات إسلامية عديدة كما أن الإسلام يدعو لتحرير الشعوب المقهورة سياسياً واقتصادياً ودينياً فقد منح الأمل لهذه الشعوب فى التحرر من ربقة الظلم والعسف والتخلص من قيود العبودية ويرفض جارودى اعتبار الفتح الإسلامى استعماراً فقد استقبل شعب أسبانيا فتوحات المسلمين الذين أنقذوهم من طغيان وظلم حكامهم الطغاة ولهذا فقد استقبلوهم استقبال الفاتحين بكل ترحاب ولم يعتبروهم مستعمرين !

وقد أشهر روجيه جارودى إسلامه فى طرابلس بليبيا وأصبح اسمه «رجاء جارودى» .

وقد أسلم «رجاء» عن إيمان صادق بعد دراسة للحضارة الإسلامية استمرت ٤٠ عاماً .

وكان جارودى حتى الستينات عضواً بارزاً فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى وسبق أن رشح لرئاسة الجمهورية إلا أنه اختلف مع سياسة الحزب وعارض سياسة موسكو وتدخلها فى تشيكوسلوفاكيا ودعا إلى نموذج فرنسى للاشتراكية ووصل الخلاف إلى فصله من الحزب .

ما يفتقده العالم اليوم هو الإسلام

ويؤكد رجاء جارودى أن الإسلام قادر على تقديم ما يفتقده العالم اليوم وهو «معنى الحياة» .

فالغرب اليوم فى أمس الحاجة إلى رسالة الإسلام حيث إنه فصل بين العلم والحكمة أى بين الوسائل والغايات ، فأصبح الدافع الأساسى لتقديم العلوم والتقنيات فى الحضارة الغربية هو إرادة بسط النفوذ والسيطرة على الأفراد والجماعات من أجل السيطرة السياسية والعلمية والثقافية .

ويؤكد جارودى على أن الثقافة الغربية انتسبت إلى ميراث مزدوج «إغريقى رومانى» و «يهودى مسيحى» وأنها تناست عهد الميراث العربى الإسلامى .

ويضيف أن النهضة الأوربية لم تبدأ مع إحياء التراث اليونانى الرومانى فى إيطاليا بل بدأت فى أسبانيا مع بدء إشعاع العلوم والثقافة العربية الإسلامية .. إلا أنها لم تأخذ من العلم العربى الإسلامى سوى مناهجه التجريبية تاركة العقيدة التى كانت توجه هذه المناهج ليبقى العلم دائماً فى خدمة البشر .

حقيقة التهديد الصهيونى للعالم

ويطالب جارودى دائماً ويلح فى طلبه على ضرورة تكاتف الجهود لمواجهة طغيان التأثير الصهيونى فى الغرب ومن رأى جارودى أن إسرائيل تلعب دور «مندوب» الاستعمار الغربى وهو ما يفسر الدعم المالى والمساعدات غير المشروطة من الأسلحة التى تتلقاها من الولايات المتحدة ومن شبكة الصهيونية العالمية بما فى ذلك التجهيزات النووية .

ويؤكد جارودى على ضرورة توضيح حقيقة الصورة للغرب وإزالة الصفحة السوداء من على أعينهم بأن التوسع الصهيونى لا يهدد الفلسطينيين واللبنانيين فحسب بل يهدد مستقبل وسلام العالم بأسره .

وقد تزوج جارودى من السيدة سلمى جارودى وهى فلسطينية الأصل من عائلة معروفة واسمها «سلمى نور الدين الفاروقى» وتصف سلمى زوجها المفكر الكبير بقولها :

«إنه نهر لا ينضب .. متجدد المعرفة .. متطور النظرة .. آفاقه تتسع يوماً بعد آخر .. فالعمل والإحساس بالروتين لا يتسربان إلى نفس امرأة تعيش مع رجل دائم التواصل بضمير الحياة» . (١٥)

---

(١٥) حوار مع زوجة جارودى : جريدة العرب : ١٥ / ٧ / ١٩٩٣ .

من راى جارودى أن الإيمان والفن والسياسة والثورة عدة وجوه لأمر واحد

وحين لجأ للكتابة كان موفقاً إلى انه لا تناقض بين هذه الأطراف مجتمعة ولا مكان للجمود فى تفاعلها مع بعضها البعض لأن المستقبل يحتوى الماضى فهو امتداد طبيعى له .

ويؤكد روجيه جارودى على ان معظم الهزائم التى منيت بها الثورة في العالم مرجعها الأساسى إلي فصل الإيمان عن الثورة ولابد من ربط الطرفين معاً لأن الإيمان هو اساس التحرير للإنسان

وجارودي روائي وكاتب سيناريو وعاشق للفن وأستاذ لمادة فلسفة الفن في الجامعات الأوربية .

المتحف الإسلامي الذى أنشاه جارودي

وقد زار رجاء جارودى القاهرة منذ عامين خصيصاً لإعداد سلسلة افلام عن تاريخ الإسلام في الأندلس من إخراج المخرج المصرى على بدرخان وسيناريو وحوار جارودى نفسه ، ومن المعروف ان جارودى قد انشأ منذ عشر سنوات تقريباً متحفاً فى غرناطة هو المتحف الوحيد من نوعه فى اسبانيا لعرض أمجاد الإسلام فى الأندلس . (١٦)

---

(١٦) جارودى حديث فى مجلة الإذاعة والتليفزيون عن الفن والسينما

ويتردد حوالى مائة ألف زائر على هذا المتحف سنوياً لمشاهدة مقتنيات المتحف الذى يضم عدة مخطوطات فلسفية وثقافية لعلماء الأندلس كما يضم مجموعة من «الماكيتات» الكبيرة لأهم المشاريع الإسلامية فى الأندلس فيوجد مثلاً بالمتحف (ماكيت) مسجد غرناطة الكبير ذى التسعمائة عمود وذلك قبل تحويله إلى كنيسة فى عهد شارل الخامس منذ خمسة قرون كما يعرض أيضاً (ماكيت) لقصر الحمراء تماماً كما كان في الأصل ، وهو قصر آخر الملوك المسلمين في الأندلس وكان من أكبر المشاريع المعمارية في عصره .

وعــود الإســلام

ومن أهم كتب جارودى كتاب «وعود الإسلام» الذى صدر عام ١٩٨١ وفيه حاول جارودى أن يفرق بين الحضارة الغربية والحضارة العربية الإسلامية وإلى أى مدى يدين الغرب للشرق الإسلامى بعلومه وفنونه . (١٧)

وقد تحدث جارودى فى هذا الكتاب عن التصوف الإسلامى والعلوم والحكمة والعمارة الإسلامية والشعر العربى وأكد على مدى تأثير هذه العلوم والفنون الإسلامية على الحضارة الغربية

---

(١٧) رجاء جارودى : وعود الإسلام ، ١٩٨١

على الرغم من أن الحضارة الغربية بدأت مؤخراً رفض الميراث الحضارى العربى والإسلامى محاولة الاعتماد فقط على الطبيعة والإنسان .

ويرى جارودى أن الغرب هو أكبر مجرم فى التاريخ وأبلغ دليل على ذلك هو استخدام المؤرخين الغربيين عبارة «الغزوات البربرية» عندما يتحدثون عن الآخرين ويستبدلونها بكلمة «اكتشافات» إذا ما دار الحديث عن الأوربيين !

كل هذا على الرغم من أن التقدم الوحيد الذى أحرزه الغرب من خلال النموذج الحضارى الذى يطرحه هو تزايد الفقر المادى فى العالم الثالث والفقر الروحى فى الغرب .

ومن أهم مؤلفات جارودى أيضاً كتابه الهام «التحول الكبير للاشتراكية والذى أصدره عام ١٩٧٠ والذى وجه فيه انتقادات للماركسية والذى أكد فيه أن الحركة الشيوعية الدولية فى أزمة وأنه لم يكن من الممكن التزام الصمت ثم فجر بعدها جارودى المفاجأة التى أطاحت به من الحزب الشيوعى نفسه وذلك حين قال عبارته الشهيرة : «إن الماركسية بغير معتقد وإنها منهج بدأ يتعثر ويتجهد ويفقد قدرته على الحركة والتطور وأنه لابد أن ينفتح على كافة الأفكار وبخاصة الفكر الدينى . (١٨)

---

(١٨) جارودى : «التحول الكبير للإشتراكية» ١٩٧٠ ، ص ١٩

جارودى وملف إسرائيل

حين جرؤ جارودى على أن يفتح ملف إسرائيل والصهيونية تصدت له السهام القاتلة ووصفوه بأنه عدّو السامية وعدّو الإنسانية وأنه نازى يستحق أن يحاكم كمجرمى الحرب .

وقد نشرت جريدة «لوموند» الفرنسية بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٨٢ خلال العدوان الإسرائيلى على لبنان ومحاصرة بيروت علاناً على صفحة كاملة وقعه جارودى مع اثنين من رجال الدين فرنسيين هما الأب ميكاييل لومبان والأب اتيان ماتيو . (١٩)

ولكن بعد نشر هذا الإعلان تعرض جارودى لهجوم من اللوبى الصهيونى الفرنسى الذى رفع دعوى قضائية ضد جارودى وزميليه وكان يقف خلف هذا اللوبى الصهيونى البارون دى روتشين .

ولم يكن بالطبع السبب فى هذه القضية الإعلان المنشور فى لوموند ولكن الكتاب الذى ألفه جارودى بعنوان «ملف إسرائيل .. أحلام الصهيونية» والذى يكشف فيه النقاب عن وجه إسرائيل القبيح ويعرى دعاوى وأكاذيب الصهيونية سياسياً ودينياً وتاريخياً .

---

(١٩) لوموند الفرنسية : ١٧ يونيو ١٩٨٢ .

والحقيقة ان أحداً لم يجروء على أن ينشر حرفاً واحداً من هذا الكتاب ولكن أخيراً تطوع ناشر لبنانى فدائى مقيم فى باريس بطبع هذا الكتاب «القنبلة» على مسئوليته ! .

وكانت قضية أشبه بقضية دريفوس فى أواخر القرن ١٩ ، وكان مضمون الكتاب هو أساس الواقعة التى اعتمد عليها جارودى للدفاع عن نفسه أمام محكمة الدرجة الأولى وكانت فى مارس ١٩٨٣ . (٢٠)

وكان دفاع جارودى وزملائه فى قضية كتاب «ملف إسرائيل» :

«إن حياتنا مدينة للأنبياء اليهود ولكن الصهيونية السياسية استبدلت رب إسرائيل بدولة إسرائيل وإن موقفها وتصرفاتها فى لبنان وفلسطين تشين اليهودية فى عيون العالم» .

وقد أصدرت محكمة المطبوعات الفرنسية في ٢٤ مارس ١٩٨٣ حكماً ببراءة المفكر رجاء جارودى وزملائه الثلاثة الأب ميشيل لولون الكاثوليكي والقس ايتان ماتهو البروتستانتى وجاك ثوثين مدير تحرير لوموند سابقاً من تهمة العداء للسامية ! (٢١)

---

(٢٠) جارودى : ملف اسرائيل .

(٢١) لوموند : ٢٥ مارس ١٩٨٣ .

وكانت المنظمة اليهودية الفرنسية المؤيدة لإسرائيل وللصهيونية العالمية والمعروفة باسم «ليكرا» قد اتهمت جارودى وزملاءه بالعداء للسامية وطالبت محكمة المطبوعات بمعاقبتهم على هذه التهمة التى يحرمها القانون الفرنسى بسبب نشرهم بياناً فى صحيفة لوموند بالأجر عن العدوان الإسرائيلى على لبنان .

وقد نشر هذا الإعلان فى لوموند بعنوان «ما معنى العدوان الإسرائيلى بعد مذابح لبنان ووقعة كل من جارودى ولولون وماتهو بعد أن رفضت الصحف الفرنسية نشره فى أى صحيفة وقد استمرت المحاكمة تسع ساعات حاول فيها شهود جمعية «ليكرا» ومحاموها إثبات أن انعقاد الصهيونية وإسرائيل يتحول إلى انتقاد لليهودية وهنا يكون الموقف العنصرى والمعاداة للسامية ، ورداً على الاتهام قال جارودى :

«أتمنى أن تحصر القضية فى إطار مبدئى طالما أن التهمة تتناول مبادئ لا أشخاصاً وأن ما يوجه إليه يتناقض مع تجربته الفكرية والسياسية على مدى حياته كلها» . وكشف جارودى سراً - يذاع لأول مرة - حين قال : إن جولد مان رئيس المجلس اليهودى العالمى كلفه شخصياً بمهمة محددة لدى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فإذا كان جارودى ضد السياسة فإن تكليف جولد مان له بهذه المهمة يكون تناقضاً !

التفرقة بين اليهودى والصهيونى

وأشار جارودى إلى مواقف العديد من المفكرين اليهود التى لا تختلف عن مواقفه ، وقد جاء فى البيان الذى وقعه جارودى فى التفرقة : بين اليهودى والصهيونى ما يلى :

«إن اليهودى هو إنسان ينتمى إلى إحدى أرقى الديانات وأوفرها احتراماً فى حين أن الصهيونى هو قومى يتضامن مع اعتداءات دولة إسرائيل وأن أداننتنا للصهيونية لا تنفصل عن تضالنا ضد اللا سامية» .

وكان المحامى الأول الذى دافع عن جارودى وزملائه هو «ليو ماتراسو» وهو يهودى وقد قال فى رده على شهود ليكرا :

«إن المخرج المطلق بين الصهاينة واليهود هو عمل صهيونى وأضاف إلى هذا النص مشيراً للبيان وهو موقف ضد العنصرية واللاسامية . إنه مناصرة لشعب يبحث عن وطن وقضيته محقه وهو الشعب الفلسطينى .

وكانت المحاكمة هجوماً وإدانة للصهيونية والاعتداءات الإسرائيلية وفشلت الصهيونية وجمعية ليكرا فى ابتزاز وتخويف المفكرين الفرنيسيين .

ولكن قد يتساءل البعض عن الدوافع وراء اتهام جارودى من قبل هذه الجمعيات واللوبى الصهيونى ؟!

والإجابة باختصار شديد هى :

مواقفة المعلنة والمؤيدة للحق العربى واعتناقه الإسلام وزواجه من عربية مسلمة فلسطينية وزياراته لبعض الدول العربية والعواصم الإسلامية وحضوره الاحتفال الألفى للأزهر الشريف وحرصه على إلقاء محاضراته عن الإسلام والحضارة العربية ومواقفه المؤيدة للعرب .

كل هذه الأسباب وراء معاداة الصهيونية له !

الوجه الآخر للحضارة الغربية

ويقول المفكر الكبير رجاء جارودى من خلال محاضرته عن «حضارة الغرب»(٢٢) «لا أريد أن أتحدث عن الإسلام بشكل عام ولا عن الإسلام وما جلبه للحضارة العالمية ، وإنما أريد أن أتحدث عن إمكانية انتشار الإسلام فى العالم الغربى فى أيامنا هذه ، عندما نشأت الدعوة إلى الإسلام كان العالم حينئذ غارقاً فى شتى ألوان الفوضى والانحطاط العام ، فالأمبراطوريات الكبرى من بيزنطية وفارسية وامبراطورية القبط كانت فى دور التفكك والانهيار ولما جاء الإسلام ونزلت آيات القرآن الكريم معلنة أن الخلق والأمر بيد الله سبحانه وتعالى عاد لملايين البشر ثقتهم بإنسانيتهم ذات المصدر الإلهى واتجهوا إلى صياغة حياتهم

(٢٢) جارودى : محاضرة التيت فى دولة قطر فى ٢٧ / ٦ / ١٩٩٢ .

الاجتماعية صياغة جديدة .

وهنا يمكن أن يطرح علينا سؤال أليس الإسلام قد قدم فكرة الجماعة والعمل لصالح المجتمع يتجه بكليته إلى طريق الفردية مما جعل الوضع يبدو غير قابل للاستمرار وجعل الثورات على الطريقة الغربية مستحيلة ؟

إننا بعد خمسة قرون من سيادة الغرب سيادة تامة – بدون منازع – يمكن تلخيص نتائج حضارته فيما يلى :

على الصعيد الاجتماعى لقد صرف للتسلح على سطح هذه الكرة الأرضية عام ١٩٨٢ مبلغ ٦٥٠ مليار دولار ولو وزع هذا المبلغ على أفراد البشرية لأصاب الفرد الواحد (٤) أطنان من المتفجرات وفى تلك السنة نفسها توفى فى العالم الثالث خمسون مليوناً بسبب الجوع أو سوء التغذية .

ومن الصعب أن نسمى خط سير الحضارة الغربية وتوصلها إلى إمكانية تدمير الحياة على سطح الأرض وإنهاء ثلاثة ملايين سنة من تاريخ البشرية ، لا يمكن أن نسمى ذلك بحال من الأحوال تقدماً .

وبالنسبة للنواحى السياسية والعلاقات الداخلية والخارجية بين الدول فالعنف هو الذى يسيِّرها ، أى مصالح الأشخاص والطبقات والشعوب تتصارع فيها صراعاً رهيباً وتتميز النواحى

الثقافية بفهم المعنى والمغزى لهذه الحياة فهم يريدون أن يكون الفن للفن ، والعلم للعلم والاختصاص لمجرد الاختصاص وأن تكون الحياة فى سبيل لا شئ . (٢٣)

أما عن العقائد فقد أضاعوا معنى السيطرة العلوية الإلهية وبذلك تم إغفال البعد الحقيقيللإنسان فى إنسانيته وتعذر إمكان الفصل بين النظام والفوضى الموجودة .

إن الحضارة الفرعونية التى يتحدث عنها القرآن الكريم كانت تريد أن تجعل الحياة لا معنى لها . أو بمعنى آخر تريد أن تجعلها مقتصرة على تأمين الحاجيات وقائمة على الصدق .

أما الحضارات الأخرى غير الإسلامية فلا نجد فيها حالياً إلا الجهل بمعنى حياتنا وبمعنى مماتنا .

طريق الحضارة الغربية طريق مسدود فهذه الثقافة الغربية تقودنا إلى الطريق المسدود .. وإذا تابعنا الخطة نفسها فمعنى ذلك الانتحار لأهل هذا الكوكب لأن من دعائها :

- الفصل بين العلم والحكمة أى الفصل بين الوسائل والغايات .
- تحويل جميع الحقائق إلى مفاهيم مغلوطة . تبعد الجمال والحب والعقيدة وتفقد الحياة معناها .

---

(٢٣) نفس المصدر السابق

- جعل الأفراد والجماعات هما المركز الأساسى للاهتمام – إنكار الالوهية أى السعى للتخلص من متطلباتها بإبعاد الإبداع والحرية والأمل .

- جحد الغربيين للتراث الإسلامى وادعاء الغرب أن هذه الثقافة انتقلت إليه من مصدرين : مصدر إغريقي رومانى . ومصدر يهودى مسيحى وتناسى عمداً المصدر الثالث لهذا الإرث وهو التراث العربى الإسلامى لقد غضّوا من قدر الميراث العربى الإسلامى لسببين :

- لادعائهم بأنهم لم يجدوا فيه إلا نقلاً للثقافات القديمة ولديانات الماضى وترجمة (للتراث الإغريقى الرومانى) وأفكاراً فى الوقت نفسه للعقيدة المسيحية ومدخلاً لبعض العقائد الفاسدة من وجهة نظرهم .

- إنهم لم يشاءوا أن يروا فيه إلا مقدمة للثقافة الأوربية مما يجعله من اختصاص دارس الماضى . وفى ظل نظرتهم هذه يجعلون الإسلام لا يحوى شيئاً جديداً ولا شيئاً حياً فهو لا يحيا إلا فى الماضى ولا يمكن أن يمدنا بشئ ؛ هذا الاتجاه المزدوج هو الذى يجب علينا أن نحاربه لأنه يمنعنا من فهم الحاضر ومن بناء المستقبل لهذا السبب أسمح لنفسى بالبحث فى هاتين الفكرتين الحضاريتين للإسلام

أولاً : ليس صحيحاً أن الفكر الإسلامى كان مجرد فكر مترجم ومنقول عن الفكر اليونانى فالرياضيات اليونانية مبنية على نظرية محدودة بينما نجد الرياضيات عند العرب مبنية على النظرية غير المحدودة .

المنطق اليونانى عبارة عن مجرد تفكير بينما العلم العربى تجريبى وفن البناء اليونانى كان يعتمد على الثوابت والخطوط المستقيمة ؛ أما المساجد الإسلامية فقد كانت عكس المعبد اليونانى ، إذ تمثل بأقواسها وقبابها سيمفونية فنية رائعة ، والفلسفة العربية كانت فلسفة العمل ويمكننا إيراد أمثلة كثيرة تؤكد هذه الحقائق فالمأساة اليونانية لم تناسب الفكر الإسلامى كما أن الشعر العربى لم يناسب الفكر اليونانى وقيمه .

ثانياً : إنه ليس صحيحاً أن العلم العربى كان مجرد مقدمة للعلم الغربى الحاضر فالعلم العربى عكس موقفنا الفلسفى الذى يؤمن بالحتمية .

إن العرب لا يفرقون ولا يفصلون بين العلم والحكمة . أى أنهم لا يضيعون الهدف ويضعون نصب أعينهم المعنى والنهاية لكل عمل . ولا يعتبرون الحوادث حتماً واقعاً وإنما مجرد إشارة حتى فى الأحداث الطبيعية ، وأوضح ما يكون ذلك فى أحاديث الرسول ﷺ فهى لا تفصل بين الأمور فيما بينها وإنما ترى

الجزء بالنسبة للمجموع وتعطيه معنى . وهذه النسبة تشمل كل الأشياء من المركبة والبسيطة وتعتبرها مقدسة بانتمائها إلى الله .

الإشعاع الحضارى الإسلامى في أوربا

وتغاضينا اليوم عن (المعنى) وعن (القوى) العلوية هو الذى جعل العلم يتحد ويساعد على تحويل الرياضة أيضاً إلى مكيافيلية وذلك منذ الاهتمام بالنمو العددى الكمى وجعله هدفاً لنا دون الأخذ بعين الاعتبار الإنسان ومصلحته وازدهاره . إن الأمة الغربية باعتمادها على الحضارة الإغريقية الرومانية لم تبدأ فى الحقيقة فى إيطاليا ولكنها بدأت من أسبانيا قبل ذلك بفترة طويلة من إشعاع العلم والثقافة العربيين الإسلاميين ، ولكن النهضة الغربية لم تستفد من الحضارة العربية الإسلامية إلا طريقتها التجريبية وأساليبها الفنية ولم تأخذ العقيدة التى توجهها إلى الله ولم تعتبر المحافظة على هذه العقيدة بمثابة خدمة جليلة للبشرية .

واليوم نجد انفسنا كما كان العالم أيام الرسول ﷺ حيث كانت تتجاذبه قوتان عظميان هما الإمبراطورية البيزنطية والامبراطورية الساسانية فى إيران - ولكنهما هما كانتا فى طريق الانحلال - واليوم نجد قوتين عظميين هما الولايات

المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى . (٢٤)

تحاولان تقسيم العالم كتلتين وتدعى كل قوة منهما لنفسها مبادئ وأيديولوجيات تتعارض مع مبادئ القوة الأخرى بينما ترتكزان على النموذج نفسه من الثقافة الفرعونية القديمة التى توصلهما إلى طريق مسدود متشابه يقود إلى إفلاس البشرية فى هذه الأزمة التى تلتمس فيها الغايات أو بالأحرى فى غياب هذه الغايات يمكن للإسلام أن يقدم للعالم ما ينقصه وهو معنى الحياة .

من مميزات الثقافة والحضارة الإسلامية

فالإسلام دين الوحدة وهو بذلك دين المعنى والجمال بينما يقوم عالمنا اليوم على التنافس العددى الكمى وتبدو الأحداث وكأنها محصلة قوى عمياء غاشمة للمجابهة والعنف .

- إن القرآن الكريم يعلمنا أن نعتبر الكون وكأنه وحده يقوم الإنسان من داخلها بالمشاركة بدوره فيها ويكتشف معنى الحياة، بينما نسياننا للخالق يجعل منا أشخاصاً يعيشون على هامش الحياة ويخضعون لحاجات ومصادفات خارجية . إن تذكرنا لله فى صلاتنا يجعلنا نفهم مصدر وجودنا وهو مصدر كل شئ فى الوجود .

---

(٢٤) نفس المصدر السابق

– إن القرآن الكريم يعلمنا كيف نرى فى كل حادث وفى كل شئ آية من آيات الله ورمزاً لوجود أعلى يسيرنا ويسير الطبيعة والمجتمع ، وهدف الدين الرئيسى هو التناسق والوحدة الصادرة عن الله والعائدة إليه ، ومما يجعل الإنسان إنساناً هو اتجاهه إلى تحقيق إرادة الله ، فكل شئ فى العالم بالتأكيد يخضع لإرادة الله، فالحجر فى سقوطه ، والنبات فى نموه ، والحيوان فى غرائزه ، كلها تخضع لله ، ولكن هذا الخضوع لا يتوقف على إرادتها فهى لا تستطيع أن تهرب من النواميس التى تحكمها بينما البشر وحدهم هم الذين يستطيعون . ومن هنا يصبح الإنسان مسلماً بمطلق إرادته وبمحض مشيئته واختياره وهو يتذكر الأمر السامى الذى جعل لحياته معنى . وهو مسئول مسئولية كاملة عن مصيره . طالما أن له مطلق الحرية فى أن يرفض أو أن يخضع لإرادة الله .

لقد جاء الرسل إلى جميع الشعوب يدعونهم إلى أن يجردوا إيمانهم بالله وبتعاليمه ولقد كان إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكثير غيرهم من أنبياء الإسلام يحملون هذه الرسالة الخالدة .

والعقل الذى لا يكتفى بربط سبب بآخر وينتقل من نتيجة إلى ما بعدها ليتوصل إلى النتيجة النهائية عقل متفتح مذعن

لرسالات السماء يستفيد من هدايتها ونورها ولما كانت هذه الرسالات قد جاءت لتنير طريق العقل فهى كما ورد عنها «نور على نور» واستجابة الإنسان لهذه الرسالات تتجلى فى الصلاة ، فالله سبحانه وتعالى مع عباده المؤمنين من البشر أينما كانوا ، وحيثما اتجهوا وطالما استجابوا بتحركهم نحو الله ، وذلك وفق ما جاء فى القسم الثانى من الشهادة بالنسبة لقسمها الأول إذ أن ترتيب حركات الصلاة يتناسب مع ظهور واختفاء الكواكب ويدخل الإنسان ضمن النظام الكونى فى حركات صلاته فهى تعيد كل مستويات الوجود إلى نفس الإنسان إن الإنسان عندما يصلى ينتصب واقفاً كالجبال والسنابل والشجر وهو يرجع ويعود إلى الوقوف كما تختفى الكواكب ثم تظهر وينحنى كأغصان النخيل أو كما تنحنى المخلوقات الحية نحو الأرض وكذلك عباد الله يحنون رءوسهم نحو مصدر الحياة . (٢٥)

هذه الصلاة لا تربط الإنسان بالطبيعة والنظام الشمسى فقط ولكن تربطه مع الإنسانية بأسرها فالقبلة فى جميع أنحاء الدنيا تشكل دوائر مركزها واحد وهى تمثل الوحدة الشاملة ومواقيت الصلاة التى تتغير حسب خطوط العرض تتيح فى كل لحظة أن يقوم شخص ويركع آخر وتستمر حركة العبادة طيلة الوقت دون انقطاع مما يمثل استمرار العبادة حول الأرض فإذا

(٢٥) نفس المصدر السابق

أردنا أن نعبر عنها بأعمال طبيعية فإن وحدة الإسلام تشمل كل العالم .

عوامل الفساد تجتاح العالم

عن قضية الإسلام والمستقبل يؤكد رجاء جارودى على أنه منذ خمسة قرون والغرب يسيطر على العالم دون أن يواجه أى تحد وكان الإفلاس نتيجة هذه الهيمنة ، ففى العام الماضى وحده ، تم إنفاق سبعمائة مليون دولار على الأسلحة فى الغرب ، بمعنى أن كل واحد من خمسة أفراد يعملون لصالح الحرب على نحو مباشر أو غير مباشر ، بدءاً بالباحثين العلماء وانتهاء بصغار العمال ؛ فنجم عن ذلك أن ما يسمى بالدول المتطورة قد قامت – حتى الآن – بتكديس قنابل ، تعادل قوة تدميرها مليون مرة ما فعلته قنبلة «هيروشيما» وإذا علمنا أن قنبلة هيروشيما قتلت سبعين ألف نسمة خلال لحظات ، فإنه يتبادر إلى الذهن أن لديهم اليوم وسائل تقنية بإمكانها محو سبعين بليون مخلوق ، أى ما يعادل خمس عشرة مرة عدد سكان العالم اليوم . وفى العام نفسه مات جوعاً أو بسبب سوء التغذية ثمانون مليون نسمة فى مختلف أنحاء العالم . ولا يمكن تصور إدارة لكوكبنا هذا وللجهد البشرى فيه أكثر شؤماً من هذه الإدارة (التى تهيمن عليه) والسبب الأساسى لهذا التخاذل أنه خلال القرون الخمسة

المنصرمة لم تعد الحضارة الغربية إلحادية وحسب ، بل أصبحت تتصف بالشرك : فالنمو والجنس والعنف والمال والقومية غدت غايات بذاتها . وبتعبير آخر أصبحت آلهة مزيفة لها .

مازالت العقيدة المسيحية على قيد الحياة ، وقد أبقاها أفراد حية بشكل يدعو إلى الإعجاب وذلك وفقاً لما أملاه عليهم الضمير. ولكنِ دورها – خلال القرون الخمسة الأخيرة – انتهى بصفتها أداة فعالة ، مساعدة على تنظيم العلاقات الاجتماعية : اقتصادية كانت أو سياسية أو ثقافية جاء فى القرآن الكريم : «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» .

يوضح مشهد العالم اليوم صورة هذه الحقيقة بشكل صارخ . وهناك ثلاثة آلهة مزيفة تسكن ليلنا خفية ، وهى التى تحدث – بل ترتكب – هذا الفساد والتضليل ، وهى :

١ – النمو الاقتصادى

٢ – القوميـــة

٣ – الفلفسة العلمية الوضعية

١- النمو الاقتصادى :

ويسيطر النمو الاقتصادى اليوم على العالم بأسره طبقاً للمفهوم الغربى وهو الاستزداة من إنتاج الأشياء أكثر فاكثر ، وبسرعة تتعاظم على السواء ، سواء أكانت تلك الأشياء مفيدة أم

غير مفيدة ضارة أم قاتلة تماماً كالأسلحة التى غدت تجتذب أعلى الاستثمارات ، لأنها تحقق أعلى نسبة من الأرباح .

هذا النمو الذى ليس من ورائه غاية إنسانية – يطغى فى العالم محولاً إياه إلى غاية تصطرع فيها القوى النهمة إلى السلطة كما تتصارع فيها الشهوات المطلقة العنان مع إصرارها على التوسع على حساب الأفراد والجماعات والأمم .

٢ - القومية :

ولدت القومية فى أوربا من تمزق أوصال الإمبراطورية المسيحية ، ومن تطور اقتصاد السوق وفى ما بعد من الراسمالية فهى – على هذا – على النقيض التام من الأمة الإسلامية ، التى يرتكز مجتمعها على العقيدة حصراً . فالإسلام – بهذا – منفتح للجميع وهادف إلى الشمول الكونى فى حين أن القومية تحول الدفاع الذى لا يردعه رادع عن عرق الإنسان ، أو عن مقاطعته أو عن سوقه ، أو عن مجموعة خلقياته وثقافاته ، إلى غاية فى حد ذاتها . فهى تعمد إلى تفكيك الإنسان من خلال السيطرة الاستعمارية والحروب . وهى مؤخراً تفعل ذلك من خلال «ميزان الرعب» . (٢٦)

---

(٢٦) جارودى : محاضرة فى دولة قطر .

٣ - الفلسفة الوضعية :

وهى العلم من أجل العلم منفصلاً عن الحكمة . أو بتعبير آخر هى العلم منفصلاً عن التفكير فى غاياته أو عن الإيمان الذى يمنحه تبين حدوده ومبادئه الأساسية وقيمه المطلقة .

الإيمان هو الذى يوظف العلم لتحرير الجنس البشرى وتحقيق ذاته بديلاً عن إخضاع الإنسانية وتدميرها . ولقد انتهى هذا العلم المنفصل عن غاياته إلى أن يتجاهل وجود أى من الأشياء التى لا ترى ، ولا تقاس كالحب والجمال والإيمان ، ولقد أوضح هذا العلم المنفصل عن غاياته الإنسانية والربانية «دين الوسيلة» الذى يضع قوة العملاق تحت تصرف قزم فاسد منحرف واضعاً بين يديه تقنية يمكن أن يبيد بها أى أثر للحياة على الأرض اليوم .

فإن انقدنا لتيارات الحضارة الغربية هذه قمنا باغتيال أحفادنا ، لأننا لن نكون قد أنجزنا مهمتنا التى أوكلها الله إلينا ، الا وهى أن نكون خلائف فى الأرض ، ترى هل سنكون قادرين على إيجاد بديل إسلامى لهذا السباق المحموم نحو الموت وهل سيكون بإمكاننا – فى هذه الظروف التاريخية – أن نتبع الطريق الصحيح أى «الصراط المستقيم» الذى بينه لنا القرآن الكريم ؟ إن مستقبل الإنسانية – بل مجرد بقائها – سيتوقف على ذلك .

القرآن يدعو إلى التفكر والتدبر فى خلق الله

يدعونا القرآن باستمرار ، إلى التفكر والتدبر وبذل الجهد ، حيث يبين لنا الهدف كى نسعى إلى تحقيقه ويفتح لنا الآفاق لاكتشاف وسائل ذلك التحقيق عبر مختلف العصور ونحن - ننبه العالم إلى البديل الإسلامى وإلى المستقبل - إنما نسهم فى إبراز ما يلى :

الاستعمال الكامل للعقل : إذ هو الذى يعيد ترسيخ الوحدة بين العلم والحكمة والعقيدة

نمط جديد من التطور : لن يكون بعد الآن تطوراً للنمو الاقتصادى فحسب ، بل سيكون تطوراً إنسانياً أيضاً

ولسوف يعبر هذا المفهوم العالمى للأمة عن انتصار وحدة الإنسانية على عامل تفكيك القوى القومية لها

وأن تصبح المعرفة إسلامية أمر لا يجوز للإنسان أن يخطئ فى فهم معناها إذ ليس معناها أبداً اقتناع الكسول الساذج بوجود إجابات جاهزة حول مشكلات العصر العلمية فى القرآن وإنه ليساء تقدير عظمة القرآن إذا نظر إليه على أنه نوع من الموسوعة التى تحتوى على المعارف العلمية كلها وهذا ينطبق تماماً على ما كتبه الشيخ محمد عبده فى فصله عن وظيفة «الرسول» فى «رسالة التوحيد» يقول : « ليس من وظائف

الرسل ما هو من عمل المدرسين ومعلمى الصناعات ، فليس مما جاءوا له تعليم التاريخ ، ولا تفصيل ما يحويه عالم الكواكب ، ولا بيان ما اختلف من حركاتها وغير ذلك مما وضعت له العلوم وتسابقت فى الوصول إلى دقائقه الفهوم» .

فالقرآن أسمى من أن يعد موسوعة . بل هو المرشد الذى يوضح لنا هدف الحياة وقيمها .

فهو يعظ الناس بلغة من يخاطبهم ، وعلى مستوى أفهامهم . فالقرآن يصور لنا خلق العالم مثلاً ، ويخبرنا أنه قد تم فى ستة أيام أو فى يومين ، أو فى أربعة أيام أو فى ثمانية أو أن خلقه للعالم كان آنياً يقول الله للشئ «كن فيكون» .

فنحن إن قرأنا القرآن على أنه كتاب فى علم طبقات الأرض (أى بالطريقة التى قرأ بها قضاة جاليليو الكتاب المقدس) فلن نفهم شيئاً أبداً . ونحن إن أطلنا ، فى هذه الحالة من أمد الأيام مستشهدين بآيات أخرى وردت فى القرآن تشير إلى أن من الأيام عند الله ما مقداره خمسون ألف سنة من سنى الإنسان ، فإن ذلك يكون محض تعسف فى التأويل . وهذا لن يوفق بيننا وبين علم أشكال الحياة (علم الحداثة) فى العصور الجيولوجية السالفة . ولكنه ببساطة سيربطنا بحرفية تبعد عن أذهاننا ما هو جوهرى !

إن اللانهائية الحقيقية «ليوم الخلود» تقع فى ما وراء نطاق أيام صانعى الساعات والفلكيين وعلماء الجيولوجيا وسنيهم . يوم الخلود الذى هو وراء نطاق كل أزماننا الإنسانية ، يقيس أبعادها الصغيرة فيجعلها نسبية . (٢٧)

وهذا الذى أقوله لا يدخل فى باب التفسير : كل زمن دون استثناء يصور فيه القرآن خلق الله مهما كانت مدته ، لا يعطينا معلومات عن مواقيت الأحداث وإنما ليذكرنا بوجوب اتكالنا على الله الخالق ، وليدعونا إلى عبادته والتضرع إليه .

ونحن نستطيع أن نعطى أمثلة لا حصر لها على ذلك . فعندما يقول القرآن لنا : (إن استطعتم أن تنفذوا من اقطار السماوات والأرض فانفذوا) فإنه هنا لا يتنبأ بالعبور إلى الفضاء والكون لأنه يردف قائلاً فى الآية نفسها : (لا تنفذون إلا بسلطان) (اى السلطان الذى يأتى من عند الله فهذا تحذير من أنواع الادعاءات كلها ، وأنواع الشعور بالاستغناء الذاتى .)

وعندما يقول القرآن : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر) . فإنه لا يعطينا بذلك درساً فى علم الأجنة

---

(٢٧) جارودى : دعوى الإسلام ١٩٨١

بقدر ما يذكرنا بالقدرة الإلهية وبقدر ما يعلمنا التواضع ، فقد بدأ القرآن هذه السورة بالثناء على أولئك (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) .

فالآيات التى تلى هذا الوصف تؤكد حقيقة أن الله قادر على كل شئ . فهو كما خلق الحياة والأحياء قادر على أن يحيى الموتى . وكل الآيات التى تصور خلق الإنسان من شئ هين كالعلق .. تدعوه إلى أن يسبح الله وتفزع الجاحدين من الكفار مبينة أن مصير الإنسان المخلوق لله لابد راجع إليه .

وتتجلى فى سورة الانفطار آيات فى المعانى الدينية والأخلاقية بشكل رائع : يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك) .

كيف يستطيع الإنسان أن يقلل من شأن آيات كهذه تحمل فى طياتها المغزى العميق للحياة ، وأن يحوله إلى مجرد درس فى التشريح ؟ لقد كتب أرسطو ، قبل بعثة النبى ﷺ بعشرة قرون بحثاً أكثر تفصيلاً حول «نشوء الحيوان» ، ومع ذلك فإن بحثه هذا لا يمكن أن يقارن بأى حال من حيث أهميته ومغزاه بالنصوص القرآنية .

كما أن بينهما بوناً شاسعاً لا حدود له لأن وصف أرسطو العلمى لم يكن قادراً على بلوغ عمق «آيات الله» بمعنى الحياة

بأسرها وهدفها . (٢٨) أن تصبح المعرفة إسلامية ليس معناه الادعاء الكسول العقيم بأن لدى الإنسان إجابات جاهزة عن الأسئلة التى يطرحها العلم المعاصر . (٢٩)

وليس معناه كذلك أن يكون هناك علم إسلامى بالمعنى الدقيق للكلمة ، لأنه لا يوجد ما يسمى بالعلم الإسلامى كما لا يوجد علم غربى أو علم عمالى (بروليتارى) يعارض العلم البورجوازى ، لقد استطاعت حضارة الإسلام المفعمة بالحيوية أن تقوم بنقل علوم عصرها إلى العربية ، وأن تجمع وتؤلف بين عناصر هذه العلوم المختلفة ، وأن تقدم إسهاماً خاصاً بها . فلقدتمثلت وآلفت بين علوم بيزنطة واليونان وروما ولم تتهيب الأسفار فى طلب العلم ولو فى الهند والصين

لقد أثرى الإسلام تلك العلوم جميعها ، وسخرها لخدمة الإنسانية وفى سبيل الله. فمن بغداد إلى تمبكتو ، ومن نيسابور إلى قرطبة لم يفصل الإسلام مطلقاً بين العلم التجريبى والتفكر فى غاياته ، أو فى طبيعة الحكمة أو الإيمان الذى هو وعى فى مبادئه المسلم بها ، وحدوده وغايته السامية (٣٠)

---

(٢٨) جارودى : مفهوم الإسلام ؟!

(٢٩) جارودى : المصدر السابق

(٣٠) جارودى : المصدر السابق

الإسلام هو دين كل عصر

ولا يمكن لرسالة ما فى عصرنا أن تكون أكثر معاصرة لحاضرنا من الإسلام . وها هو العلم قد انحرف إلى «العلمية» وها هى ذى قد انحرفت إلى حكم التقنين . وهما نزعتان تقفان دوماً عند السؤال: كيف؟ عوضاً عن السؤال : لماذا؟

إذا استطاع الإنسان أن يصنع قنبلة ذرية فليصنعها ، وإن رغب فى الصعود إلى القمر فليصعد يجرى هذا كله دون سؤال النفس : ترى أليس هناك أولويات أخرى ؟ ولو أن الاستثمارات المالية والعلمية والتقنية وجهت لاستطاعت أن تهيئ للجنس البشرى مستقبلاً أكثر سعادة وأكثر فائدة لمستقبل ذى ملامح إنسانية – أو فلنقل ربانية إنه من واجبنا – نحن المسلمين – أن نطرح هذه التساؤلات على علوم الطبيعة لا لنفرض عليها قيوداً، بل لكى نوجهها فى الاتجاه الصحيح نحو تحقيق رسالتها وينطبق هذا على ما يدعى بالعلوم «الإنسانية» – كما ينطبق على العلوم «الطبيعية» . فمن الاقتصاد السياسى إلى التاريخ ، ومن علم النفس إلى علم الاجتماع ، ومنذ خمسة قرون والتقاليد فى الغرب تميل إلى تطبيق دراستها على مناهج الجنس البشرى التى أثبتت فاعليتها فى السيطرة على الطبيعة . فالإنسان كان يدرس على أنه شئ أو موضوع ، مثله مثل الأشياء الأخرى دون

ان تؤخذ طبيعته المتميزة بعين الاعتبار . أى كان الإنسان موضوعاً للدراسة إلى جانب كونه صاحب مشروعات .

إن ما يدعى بالعلوم الإنسانية (وكان الأحرى والأدق أن تسمى/بالاإنسانية-لأنها أساءت تقدير الطبيعة المميزة لما هو إنسانى) قد أحرزت نجاحاً حقيقياً بدراستها للبنية ، مثل بنية اللغات أو بنية المؤسسات ، بينما كانت تلغى دراسة ما وراء البينة: نشوء أفعال الإبداع تلك التى دخلت فى البنيات . وهكذا فبدلاً من الانطلاق من فعل الإبداع كى نصل إلى البنية التى قد انشأها هناك - تاريخياً - ميل معاكس للانطلاق من البنيات الموجودة والاستدلال منها للوصول إلى مخلوق مجرد ، هو القائم بالفعل ونتيجة هذا الفعل معاً .

إن ابرز مثال على هذا الاتجاه هو «الاقتصاد السياسى» إذ إن هذا العلم يرى - ويسلم - بالإنسان الاقتصادى «الإنسان المنتج الاقتصادى الإنسان المنتج والمستهلك فى آن واحد ولا شئ غير ذلك إنه الإنسان الذى ينشط تبعاً لمصلحته الأنانية وحسب . فهل بمقدورنا أن ندعوه « الإنسان» ؟ إننى هنا لا اعنى الإنسان الإسلامى «إنما اعنى «الإنسان» من كان على المسلمين جميعاً - ومن غير أن يهددوا أيا من المكتسبات المهمة فى حقل الاقتصاد التقليدى او فى الماركسية حول دراسة البنيات - أن يبرهنوا على

أن الاقتصاد السياسى – إذا كان له أن يبقى إنسانياً ، يجب الا يحول الإنسان إلى شىء مجرد من خصائصه الواقعية . ذلك أن الإنسان الكريم الخلاق الذى نفخ الله تعالى فيه من روحه ، كما قال فى كتابه العزيز «وإذ قال ربك للملائكة : إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين» .

وكذلك الأمر عندما يدرس التاريخ إذ لا نرى فيه إلا مزيجاً أعمى من الضرورات والاتفاقات ، ولا شك أن تاريخ المؤسسات والبنيات له ثوابته وقوانينه . غير أن عبقرية الإنسان تستطيع أن تحقق إمكانات واحتمالات يلوى تدخلها من تلك الثوابت والقوانين ، ولم يستطع عالم تاريخى كابن خلدون – ذى الإدراك الشامل للأمور – أن يتوصل إلى مغزى تجريدى يعطى الأحداث مكانها فى كل شامل وفق مشيئة الله .

ويمكن للإنسان – فى كل زمان – أن يفكر ويتساءل ما هو هذا الكل الشامل ؟ لكنه لا يمكنه أن يضع فرضية مغالية يعتقدها الفرضية النهائية . (٣١)

---

(٣١) رجاء جارودى : المصدر السابق

مفهوم الإسلام للتطور الإنسانى

ومن رأى جارودى أن جوهر الإسلام للتطور الإنسانى مبين فى القرآن ، بقوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) . والإنسان فى مفهوم الإسلام «خليفة» فى الأرض . فمم إذاً تتألف مهمته ، إن لم تكن تسخير أفكاره وجهوده كلها للإسهام فى تحقيق مشيئة الله ؟ . وبتعبير آخر ، أن يحقق الإنسان على الأرض كل الظروف التقنية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، التى تضع تحت تصرف كل طفل وكل امرأة وكل رجل الوسيلة التى تنمى كل الإمكانات التى منحها الله كلا منهم ؟ . (٣٢)

هذا هو «الناموس الإلهى» للعدالة الاجتماعية هذه هى «الشريعة» التى علمنا إياها القرآن فى آياته لا يستطيع المجتمع أن يطلق على نفسه لقب «إسلامى» ما لم تتجه كل أعمال المجتمع وأعمال قادته الثقافية والعملية نحو هذه الغاية (٣٣) النهائية التى ناط بنا الله القيام بها . وإنه من السهل المنافى للمعقول أن نبدأ من النهاية . أو بتعبير آخر أن نطالب بإنزال العقوبات والجزاء قبل أن نحقق العدالة . ففى القرآن ستة آلاف وستمائة وست

---

(٣٢) جارودى : مفهوم الإسلام

(٣٣) المصدر السابق

وثلاثين آية   منها مائتان وثمان وعشرون آية فقط هى التى تتعلق بالأحكام الشرعية ومن ضمن هذه الآيات المتعلقة بالأحكام الشرعية سبعون آية تخص الأسرة   وسبعون تخص القانون المدنى وثلاث عشرة آية للقضاء والإجراءات وعشر آيات للحقوق الدستورية ، وعشر للنظام المالى والاقتصادى ، وخمس وعشرون للعلاقات الدولية ، ثم ثلاثون آية لقانون العقوبات . ومعنى هذا أن ٤ ٪ من آيات القرآن تتعلق بالقانون ، ومن هذه ٧ ٪ تخص قانون العقوبات . بينما يبحث القرآن بأكمله تقريباً فى العقيدة وفى المعانى الأخلاقية وفى «الصراط المستقيم» وبتعبير آخر فى الغايات التى علينا أن نواصل السعى إليها تحقيقاً لمشيئة الله .

هل يستطيع أحد أن يدعى بأنه يطبق الشريعة عندما يبدأ بإدخال أحكام العقوبات القرآنية خاصة (والتى تشكل أقل من نصف بالمائة من القرآن) بحرفيتها فى التشريع الوضعى ، جاعلاً منها أحكاماً مستقلة عن السياق القرآنى ككل ذلك السياق الذى قدم رؤية شاملة للحياة وللسلوك الإنسانى ؟

لا شك أن هناك ضرورة تحتم إدخال تغيير جذرى على التشريع الموروث فى عهود الاستعمار (الاستعمار الفرنسى والاستعمار الإنكليزى عادة) ولقد تأسس هذا التشريع بناء على

مفهوم للعالم وللجنس البشرى برفضه المجتمع الإسلامى لسبب جوهرى ، إلا وهو ، أنه تشريع لا يأخذ بعين الاعتبار الأبعاد السامية للإنسان تشريع همه كبح الشهوات المتنافسة ، التى يفرزها مجتمع «الفردية» حيث الإنسان عدو للإنسان .

لكن هذا التغيير الذى لا غنى عنه لا يحدث بمجرد أن نضع عوضاً عن هذه القوانين – وعلى سبيل الحصر – أجزاء متناثرة، مأخوذة حرفياً من تشريع آخر ، تشريع كانت مهمته تغطية أهداف خصها الله بالعالم العربى فى ظروف تاريخية خلت ، قبل ألف عام

إنه لا علاقة للتطبيق المخلص للشريعة بهذه الحرفية الكسول . وسيقتضى منه إعادة اكتشاف السبب الحقيقى لأحكام القرآن أو السنه ، والمبدأ القائم وراء الأحكام ، يضاف إلى ذلك كله تلك الظروف التاريخية التى طبق فيها وسيقتضى – فوق كل شئ وأكثر من أى شئ آخر – أن يرجع فى جمع هذه الخطوات إلى البيان القرآنى جملة والشريعة تغطى كل عمل من أعمالنا كما أمرت بذلك مشيئة الله ، وكما بينها لنا القرآن بأكمله ، إنها لا تغطيه بالقراءة الحرفية التى تعزل آية عن الكل القرآنى والتاريخى الذى أعطاها معناها .

لماذا – فى وقتنا الحالى – لا ترسل هذه الشريعة أشعتها

عبر العالم بأسره ؟ لماذا تبقى الشعوب المسلمة - رغم خلاصها من الاستعمار - موضوعاً للدراسة بدلاً من أن تكون فاعلة خلاقة للتاريخ ؟ ولماذا لا تكون الشعوب الإسلامية قدوة للمبادرة التاريخية ؟

ذلك لأن الشريعة قد أسئ فهمها ، وحد من تقدمها الحيوى منذ القرون الأولى ، ذلك لأن القرآن يقرأ من خلال أعين الأموات، من خلال أعين أناس كانت عبقريتهم أنهم قاموا بحل مشكلات عصرهم ، مستندين إلى البيان الخالد والقرآن .

أما نحن فلا نستطيع حل مشكلاتنا ببقائنا راضين مقتنعين بتكرار ما صاغوه مع أنه يتوجب علينا أن نستوحى مناهجهم . والعودة إلى رأس النبع لا تعنى أن نسير نحو المستقبل إلى الوراء ، أن نمشى وأعيننا معصوبة نحو الماضى ، بل يعنى أن نجد مرة أخرى ، الينبوع الصالح الحى .

والطاقة المبدعة للإسلام فى فجره والشريعة ليست بركة راكدة ، يغرف المرء منها ماء آسناً ، إن هذا الماء لن يطفئ أنواع العطش الحديثة ..

إن الشريعة نهر رائع الجمال مرسل للنور يضفى الخصب على ضفافه فى أثناء جريانه . (٣٤)

---

(٣٤) جارودى : جوهر الإسلام .

الغرب وعوامل الهدم فى الدول الإسلامية

يحس قسم كبير من الرجال والشباب المؤمن - فى عدد من الدول المسلمة بالانحلال الخلقى والتفسخ الاجتماعى والسياسى اللذين يحدثهما تغلغل عادات الغرب وأدواته . وهم مدركون الدور المفتت الذى تقوم به «الأيديولوجيات» الغربية ، والتى ينشرها انتقال التقنية ، عندما لا يكون هذا الانتقال خاضعاً ، ولا مدققاً فى انتقائه وحيثما لا تفصل التقنية الضرورية للمسلمين عن السياق الغربى الوضعى يتوق هؤلاء الرجال والشباب المؤمنون إلى مقاومة فساد بعض حكامهم وإلى إعادة اكتشاف هويتهم الإسلامية بتطبيق «الشريعة» عوضاً عن جملة القوانين التى أورثهم إياها مستعمروهم القدماء .

وإن الحاجة التى يشعر بها المسلمون - بعد استعمار طويل - بوجوب وضع حد للقوانين والأساليب التى فرضها عليهم محتلو بلادهم بالأمس هى حاجة مشروعة تماماً ، لأن مفهوم العالم والجنس البشرى الذى نجمت عنه هذه التشريعات لا يناقض ، جذرياً كل ما عبر عنه القرآن فحسب ، بل إنه يقود العالم الغربى نفسه إلى إفلاس أخلاقى .

إن رغبتهم فى تجديد أسلوب حياتهم كاملاً - بما فيه التشريع - بالاستناد إلى مبادئ الإسلام (ومعنى «الإسلام» فى

كل دين : الخضوع لمشيئة الله) إنما تعبر عن ذاتها فى مقولة المطالبة بتطبيق شريعة الله

وليست الشريعة مجموعة قوانين وحسب بل هى طريقة حياة . وهى قانون ملزم كثير المطالب مسيطر على كل وجوه الحياة الداخلية والخارجية إنه من الممكن خداع امرئ ما في صفقة أو فى مثياق أو فى عقد ومن المحتمل أن يغش الإنسان فى عمله أو فى تعامله مع الآخرين ، ومن الممكن أن يكذب الحاكم على شعبه ، لكنه يستحيل على المرء الغش والخداع إذا أيقن أنه يقوم بما يقوم به تحت رقابة الله (السميع العليم)

جوهر الشريعة الإسلامية

إن تطبيق الشريعة يعنى قبل كل شئ إقامة مجتمع – كما يأمرنا به القرآن – مجتمع لا تتكدس فيه الثروات (كأبى لهب) مع فقر الآخرين الذين لا تمد لهم يد العون على الشكل الذى يأمر به القرآن : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب)

فلا يعنى تطبيق الشريعة أن على الإنسان ان يبدأ بالعقاب قبل أن يوجد اسلوباً فى التربية ، ويقيم نظاماً سياسياً يوحى

للفرد وللجميع بالشعور بالكرامة جنباً إلى جنب مع الشعور بالواجب . وأن تطبق الشريعة وأن يكون مسلماً يعنى أن يعيش المرء كل لحظة من لحظات حياته لا يمكن أن يخفى فيها عن الله سراً .

وأنه من التعسف بمكان أن نطلق اسم شريعة القرآن على جزء واحد منه وأن روح الجمود والمحافظة التى تبناها بعض الفقهاء هى السبب الرئيسى فى تدهور العالم الإسلامى . إذ هل يمكن للمرء مثلاً أن يطبق حرفية الآية :

«السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم) على أنها مثل يعطى الشريعة صفة مميزة؟

لا يمكن أن يرى «قانون العقوبات» إلا فى سياق العدالة الاجتماعية التى لا مكان فيها للسرقة ، وبالتالى لا داعى فيها للعقاب فهل كان الخليفة عمر بن الخطاب غير حسن الإسلام عندما توقف عن تطبيق الآية القرآنية المتعلقة باقتسام الغنائم عند فتح سواد العراق ؟ بتصرفه هذا خلافاً القرآن ، وكان – على النقيض من ذلك مخلصاً لروح القرآن مؤمناً بها . وقد كان اقتسام الغنائم – بعد معركة خيبر (٧هـ – ٦٢٨م) – وسيلة لتقوية المجتمع الإسلامى الذى كان انئذ ضعيفاً . ولو أن الخليفة

عمر تصرف بالطريقة عينها فى سواد العراق (١٥هـ - ٦٣٦م) لكان سبّب كثيراً من الضرر للإسلام عوضاً عن النفع :

أولاً : لأنه لو سُلب السكان ونُهبوا لا نقلبوا على القادمين الجدد ولظهر المسلمون بمظهر السالبين الناهبين وسيتوقف انتشار الإسلام عندئذ .

ثانياً : إنه بتوزيعه أرض السواد الغنية على جنده يكون عمر قد أوجد نوعاً من الإقطاع العسكرى الذى يتعارض وجميع مبادئ المجتمع الإسلامى .

هل كان عمر غير حسن الإسلام حين علق تطبيق الآية المتعلقة بقطع أيدى السارقين فى وقت المجاعة ؟ لقد كان - بتصرفه هذا - على النقيض - مؤمناً ومخلصاً لروح القرآن ومقتدياً بالنبى ﷺ إذ يقول «ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه» .

لقد كان عمر يرسى قواعد مبدأ إسلامى أساسى وهو أن العدالة الاجتماعية أعلى قيمة إسلامية وأنها تتقدم على حماية الممتلكات والحق أن كل شئ فى القرآن - من فرض «الزكاة» إلى «تحريم الربا» يهدف إلى منع «تكديس» الثروات فى أحد قطبى المجتمع ، والفقر المدقع فى القطب الآخر ولقد أعطى النبى ﷺ بعض الأمثلة الخالدة على ذلك منها :

قال عباس بن شرحبيل : «أتيت المدينة مع أقارب لى وخرجت إلى حقل للقمح فاقتلعت بعض الحزم منه ثم فصلت عنها حباتها فوصل صاحب الحقل فأخذ منى ثيابى وضربنى .

فذهبت أبحث عن النبى ﷺ لأشتكى إليه فسأل النبى ﷺ صاحب الحقل : «ما دفعك إلى فعل هذا ؟ «فأجاب الرجل : يا رسول الله لقد دخل هذا الرجل حقلى وسرق حزماً منه ونزع عنها حباتها» . قال النبى ﷺ «لقد كان جاهلاً فلم تعلمه وكان جائعاً فلم تطعمه .. أعد إليه ثيابه . ثم دعا رسول الله ﷺ بمكيال قمح وأعطانيه .

إن أمثلة كهذه يجب أن تعيننا على إدراك حقيقة هى أننا حين نزعم بأننا نطبق الشريعة بقطع اليد نكون قد بدأنا من النهاية لا من البداية ، لأن أولى واجبات المجتمع الذى يبحث عن طاعة الشريعة الإلهية هى فى أن نتجنب الظروف الاجتماعية التى تؤدى إلى السرقة أو بتعبير آخر : أن نستأصل «الظلم الاجتماعى» والحاجة . (٣٥)

يبدو فى أيامنا هذه أنه تعطى أهمية أكبر فى المجتمع الإسلامى لحماية الممتلكات مما تعطى لتحقيق العدالة الاجتماعية فهل مهمة الشريعة كلها حماية الممتلكات من السارقين بقطع

(٣٥) جارودى : جوهر الإسلام (الجزء الثانى) ص ٤٤

أيديهم والتفكير إلى مدى ألف عام فى قوانين التركات والمواريث؟ فإذا كان ما ذكرناه الغاية القصوى من الشريعة ، فهل هى «الشريعة» التى تفتح لنا أبواب المستقبل ؟

لقد بين الله لنا الطريق الصحيح «الصراط المستقيم» فى لغة كل قوم وأخبرنا القرآن أن ذلك قد تم فى مستوى فهم ملائم لكل عصر «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم» كما أنه بين لنا المبادئ الخالدة بدءاً بالأمثال يقول القرآن الكريم : «ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون» وبتعبير آخر بيان فى نطاق ظروف تاريخية واقعية ملموسة (كان هذا فى الماضى) أما فى وقتنا الحاضر فقد أصبحت أشكال السرقة القاتلة مباحة (مثلاً الثروات التى حصلها الإنسان من القمار ، أو من توقعات بعض أسواق الأسهم أو من التجارة المحرمة) تلك الطرق التى لم يكن لأى منها وجود فى زمن النبى ﷺ .

نحن نعرف السرقة بالشكل الذى كانت عليه فى المدينة (سرقة جمل أو كيس قمح أو سرقة مال) : وهذا التعريف لا يشمل سوى سرقات صغار اللصوص ونحن بذلك نكون قد سمحنا لمن ينهبون شعوباً بأسرها بأن يفلتوا من العقاب .

لذا فإننا إذ نقطع أيدى السارقين من صغار اللصوص فقط نصبح بذلك شركاء منافقين لكبار اللصوص الذين يكدسون ويحتكرون ثروات العالم . والذين لم تقطع أيديهم قط . إن أكثر ما يعارض روح القرآن هو أن يطبق أسلوب فى العقاب قبل أن تجعل العدالة الاجتماعية قاعدة . والقرآن واضح جداً وجلّى فى هذه النقطة إنه يشجب التهافت على جمع المال ويدين الذين يجمعونه بالطريقة غيرِ الشرعية (الذى جمع مالاً وعدده) وكما يقول : (.. والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) فالله ينذر من يفعل ذلك بعقاب نار جهنم . (٣٦)

لقد نظم القرآن والسنة إعادة توزيع المال : فالقرآن وضع أسس الزكاة التى لا تشمل منح الصدقات تطوعاً ، بل هى عبارة عن ضريبة إلزامية ليست على أصل المال وقد حددت السنة مقدارها بـ ٢,٥٪ للمال غير المستثمر (وتعفى منها وسائل الإنتاج فقط) . ونحن إن قمنا بعملية حسابية بسيطة رأينا أن أصل المال ينتهى خلال أربعين عاماً أى فى جيل واحد بحيث لا يستطيع أحد أن يعيش عيشاً طفيلياً على ثروة ورثها من والديه وفى البلد الذى تطبق فيه أحكام الزكاة بصرامة تأخذ الشريعة الحق حكمها على المستوى الاقتصادى والمستوى الاجتماعى .

(٣٦) جارودى : مفهوم الإسلام ، ص ١٦

وعند ذلك يكون السارق مريضاً عقلياً لأنه لا يعد هنا أى «دافع» يدفع الإنسان إلى السرقة . على كل حال فإن الاعتراض على التطبيق الحرفى أو الجزئى للشريعة يجب ألا يتخذ ذريعة قطعاً لاستبدال الأنظمة القانونية الغربية أو الشرقية بالشريعة حتى وإن كان ذلك لظروف انتقالية . بل يجب – بدلاً من ذلك – أن يتخذ اعتراضنا حافزاً يدفع إلى التزام واضح مخلص . مفهوم وسريع للشريعة الربانية .

وباختصار فإن الشرط الأول الذى ينقذنا من الوقوع فى شرك القراءة الحرفية هو الرجوع إلى الروح الشمولية للقرآن نفسه ، ذاهبين بذلك إلى ما وراء رواسب ألف ومائتى سنة من شروح العلماء والمغالاة الشكلية التى قلصت الرسالة إلى ما يلائم السلالات الحاكمة قبل عدة قرون . (٣٧)

النموذج الإسلامى للتطور الإنسانى

من هذا المنطلق وحده : منطلق الروح الشمولية للقرآن يمكن للنموذج الإسلامى فى التطور الإنسانى أن يبرز واضعاً – فى المكان الصحيح – اقتصاداً متطوراً منسجماً مع الحاجات الإنسانية الحقيقية من جهة ومع مشيئة الله من الجهة الأخرى ، ونؤكد أن هذا النموذج لابد له أن يقوم وهو بمقدورنا إذا بذلنا

---

(٣٧) جارودى : جوهر الإسلام ، الجزء الثانى .

غاية جهدنا دون أن نحيد عن المبادئ الخالدة للقرآن وعن حقائق عصرنا وحتى عن تلك التقنيات الاقتصادية التى يحتمل أن تكون صالحة وتتضمنها النظريات الاقتصادية لهؤلاء الذين يحاربوننا سواء أكانوا اقتصاديين كلاسيكيين أو كانوا اقتصاديين ماركسيين .

وهناك كذلك تم إعداد تركيب يؤلف وحدة متكاملة لكل جزء من أجزاء الحقيقة فيه قد جرى انتقاؤه بعد الدراسة والنقد .

وفى هذا المجال – أكثر من أى مجال آخر – علينا أن نرفض محاكاة الغرب كما علينا أن نتجنب الماضى ، علينا أن نتذكر أن مستقبل الإسلام لا يرتكز على إعلان إفلاس العالم كما أنه لا يقف عند ترديد الصيغ الجاهزة التى وجدت كى تساعد على حل مشكلات الناس فى العصر الأموى أو العباسى وختاماً أود أن أصرح بأن علينا أن نحذر من الاعتقاد بانتصارنا على كل شئ ومن التظاهر بادعاء أننا نستطيع وحدنا حل مشكلات كل إنسان.

ليس الإسلام مجرد دين بين الأديان ولم يدع محمد ﷺ يوماً أنه قد أرسى قواعد دين جديد (وحسب) ، بل ليذكر الناس بالدين الأصلى الذى وجد منذ خلق الإنسان الأول : «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله

ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون» .

فالإسلام هو الدين الأول والرسالة الأخيرة معاً : إنه البعد السامى للجنس البشرى كما عرف فى كل مستوى من مستويات الوجود .

الإسلام فى مبدئه الأساسى أكثر الأديان عالمية (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه...»

رسالة واحدة بينت للجميع ذلكم هى «الخضوع لقانون الإله الواحد» . فمهمتنا جميعاً أن نطبق هذا القانون الإلهى ، وأول أمر فيه هو العدالة الاجتماعية وهى مهمة كل رجل وامرأة : كل من يعتقد بأن الإنسان ليس محور كل الأشياء ولا هو مقياسها . إنها على العكس من ذلك مهمة كل من يعتقد بأن القيم المطلقة والشريعة ذات وجود فعلى وبأنهما سينتصران فى المجتمع المخلص العادل الذى يشعر كل عضو فيه بأنه مسئول عن الآخرين بشكل مغاير للفردية الغربية .

وفى الختام يجب أن نقضى على خلافاتنا كلها متذكرين ما قاله شاعر تركى كبير :

«إذا لم أحترق أنا وإذا لم تحترق أنت إذا نحن لم نحترق فكيف يضيئ الليل ؟»

جارودى ومؤتمر السكان بالقاهرة

وكان لجارودى رأى شهير فى مؤتمر السكان الذى عقد فى القاهرة وبرامج الأمم المتحدة والفقر والثراء فى العالم فيؤكد على أن مؤتمر القاهرة الذى يجعل من الديمغرافيا فى إفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا السبب الأساسى للأزمات التى تهدد العالم (الافتقار إلى المواد الغذائية والماء والنفط . وقحط الأراضى وتلوث الكتلة الهوائية) الحلف المقدس العنصرى والتقنوقراطى بين الدول الأكثر غنى فى العالم (الولايات المتحدة وأوربا واليابان) وبين حلفائهم (الأقليات الغنية التى تمسك بزمام السلطة فى البلدان الفقيرة تحت رعاية البلدان الغنية) ضد الشعوب الأكثر فقراً والأكثر حرماناً والذاهبة ضحية ما يزعم أنه «النظام الدولى الجديد» الذى يبقى على الفوضى الاستعمارية القديمة ويزيد من خطورتها . (٣٨)

هؤلاء يعملون من أجل الوصول إلى مآربهم فى ترسيخ فكرة «القنبلة الديمغراقية فى العقول»، هؤلاء يقولون إن الأرض لا تستطيع أن تطعم سبعة بلايين ساكن حسب التوقعات لسنة ٢٠١٠ .

---

(٣٨) جريدة الشعب ، مقالة لجارودى بخصوص مؤتمر القاهرة الدولى للسكان

أما نحن فنقول : يفيد «برنامج الأمم المتحدة للتنمية» إنه فى عام ١٩٩١ فيما يسيطر خمس سكان الكرة الأرضية الأكثر غنى على ٨٤،٧٪ من موارد العالم الطبيعية ويستهلكها فإن خمس سكان القارة الأكثر فقراً لا يملك سوى ١،٤ من هذه الموارد .

وهكذا يأتى الأغنياء إلى القاهرة تحت غطاء الأمم المتحدة التى يتسلط عليها القادة الأمريكيون ليقولوا للفقراء .. لا تنجبوا بعد الآن أطفالاً كى نستطيع الاستمرار فى نهبنا وإفراطنا تجاه هذه الإبادة الجماعية للأكثر حرماناً نقول : إذا كنتم تزعمون أن الأرض لا تستطيع إطعام جميع الناس فلماذا تجبر الولايات المتحدة أوربا على تبوير ١٥ فى المائة من أراضيها الصالحة للزراعة لولا أنها تريد الإبقاء على صادرات وأسعار القمح الأمريكى على مستواها وذلك على حساب الجياع من الناس ؟

لماذا تصرفون مئات البلايين لتكديس جبال من اللحم والزبدة والحليب المجفف فى أوربا إن لم تكونوا تريدون الإبقاء على أسعار هذه المواد الغذائية على مستواها ومنعنا من الحصول عليها ؟!

إنكم تستنفذون أفضل أراضينا فى قارات ثلاث وتحرمون أريافنا من سكانها لأن زراعاتكم بما تستهلك من أسمدة كيماوية وتربيتكم الصناعية للمواشى تجعل فلاحينا يتكدسون فى

ضواحى عواصمنا فى إطار من التنظيم المدنى الجنوبى لأنهم فقدوا إمكان العيش على أراضى أجدادهم .

هؤلاء يقولون : سنفقد محرك «نمونا» أى البترول

ونحن نقول : تستهلك الولايات المتحدة التى تمثل ٥٪ من سكان العالم ربع الإنتاج العالمى لسياراتها ولسد حاجة ٩٠٠ لتر لكل هكتار أرض ومتطلباته من ماكينات زراعية وأدوية مبيدة للحشرات وسماد مستعمل فى الزراعة الصناعية .

وتنوى الولايات المتحدة من أجل الاستمرار فى عريدتها الاستيلاء بالقوة على مناجم العالم فى فنزويلا والمكسيك فى آسيا وفى الخليج والعراق والاتحاد السوفيتى السابق وكذلك فى القارة الأفريقية على مناجم نيجيريا والصومال كما تحضر ذرائع الحرب ضد الأهداف المتبقية أى إيران وليبيا والسودان .

هؤلاء يقولون سينضب الماء فى العالم

ونحن نقول : إن المال الذى فرضه تجار الأسلحة لبيع ٢٣ طائرة حربية إلى باكستان من قبل فرنسا بوسعه أن يزود بماء الشرب سكان باكستان البالغ عددهم ٥٥ مليون نسمة يفتقرون إليه .

ونحن نقول : إن تخصيب الصحراء من داكار إلى مقديشو

بواسطة شبكة مضخات مائية تحركها حابسات مياه تعمل بواسطة الطاقة الشمسية يكلف ١,٥ بليون دولار أى ما يعادل تكلفة بناء حاملة طائرات مجهزة بست وثمانين طائرة عاطلة عن الطيران أى ما يعادل أيضاً عشر المبالغ التى تجنيها الولايات المتحدة من بيع أسلحتها إلى جلادى الجنوب أصحاب الامتيازات . (٣٩)

وهكذا تستمر شعوبنا فى شرب ماء المستنقعات الملوث كى تتمكن أحواض السباحة ذات التكلفة الباهظة أن تتكاثر لدى المترفين .

هؤلاء يقولون : إن السكان الكثيرى العدد فى الجنوب يتسببون فى تلوث الهواء وازدياد حرارة المناخ .

ونحن نقول : من الذى يتسبب فى الفجوات الحاصلة فى طبقة الأوزون إن لم تكن مداخن مصانعكم واسطوانات انقلاب الغاز من محركات سيارتكم وعبوات عطركم المضغوطة ؟

إن واحداً من سكان الولايات المتحدة يساهم فى ازدياد حرارة الأرض ست مرات أكثر من مواطن واحد فى المكسيك و ١٩٠ مرة أكثر من مواطن واحد فى أندونيسيا من الذى يقضى على رئة الأرض من خلال القضاء على الغابات فى الأمازون إن لم

---

(٣٩) المصدر السابق

تكن شركات الولايات المتحدة وأوربا واليابان المتعددة الجنسية والتى تقطع الأشجار لبناء سدودها متسببة بفيضانات على آلاف الهكتارات بالإضافة إلى المستعمرين الجشعين الذين يقضون على الغابة أو على واحاتها التى تنبت فيها الخضار من أجل تأمين تربيتهم الصناعية للمواشى .

هؤلاء يقولون : ان قاراتنا مستقلة إلى أقصى حد وما يهدد الكرة الأرضية بالموت ليس ولادة أبنائنا . ما يهدد بالموت هو نموذج نموكم الجنونى الذى ما فتئتم منذ خمسة قرون تحاولون فرضه على الكرة الأرضية بأسرها بواسطة الاستعمار فى البداية ومن ثم بواسطة صندوق النقد الدولى

هذا النمو الذى يتمثل بانتاج متزايد اكثر فأكثر لأى شئ وبسرعة اكبر فأكبر إن كان مفيداً أو غير مفيد مضر أو مميت مثل تجارة الأسلحة والمخدرات وهذا تسمونه «تنمية» خالطين بين «النمو» الكمى للأشياء وبين التنمية النوعية للإنسان .

إن جميع سفسطاتكم ترتكز على هذا المسلمة ان الأرضى لا تستطيع إطعام جميع الكائنات الحية إذا استطعنا فرض نماذجنا المستوردة فى الاستهلاك والتبذير دون هدف إنسانى مسيرين كما لو بقدرة قادرة بنواميس «التبادل الحر» العمياء و «بوحدانية السوق» التى تطفئ لدى شبيبتكم الإيمان بالمستقبل وبمعنى

الحياة وبالخلق المستمر للناس وثقافاتهم ضاربين بعرض الحائط التطور الداخلى الناشئ من أرض هؤلاء الذين تستغلونهم وتاريخهم وثقافتهم .

هؤلاء يقولون : مؤتمر القاهرة كما لو أن الأمم المتحدة وهى عميلة لتنفيذ أوامر الدولة العظمى الباقية تشكل حكومة للعالم .

هكذا يزعمون أنهم يستطيعون الإبقاء إلى ما لا نهاية على الانحرافات التى تؤدى بنا إلى حرب إبادة على مستوى الكرة الأرضية بمنع الناس من الولادة مثلما فعلوا فى البرازيل عندما عقموا خمسة وعشرين مليون إمرأة وملايين أخرى فى آسيا وأفريقيا .

ونحن نقول : إن ما يهدم الأرض ويفقد الحياة معناها ومستقبلها هو النظام الذى يريد فرض سيطرته على العالم أجمع بواسطة «حرية التبادل» إذ تجعل التبادل غير متكافئ أكثر فأكثر . وتجعل من وحدانية السوق التى تتيح المجال باستمرار أو بديمومية ارتباط المستعمرين القدامى بمستعمريهم السابقين .

لقد أعلن أحد رؤساء الولايات المتحدة خلال السنة الماضية «يجب خلق سوق واحدة من الاسكا إلى أرض النار وأضاف وزير خارجيته» سوق واحدة من فانكوفر إلى فلاديفوستوك» .

ونحن نقول : « إن مؤتمر القاهرة يجب ألا يسمح بصلب الإنسانية على صليب من ذهب لمحاولته الإبقاء على مثل علاقات القوة هذه بين أقلية مالكة وأكثرية مستغلة بمنع هذه الأخيرة من نشر حياتها » . (٤٠)

---

(٤٠) المصدر السابق : جريدة الشعب

يهـود فـرنسا بلا ورقة تــوت !

ولكن كيف استطاع اليهود أن يسيطروا على فرنسا ؟!

والحقيقة أن اليهود كانوا فقراء معدمين حينما وفدوا إلى فرنسا التى كانت من أغنى دول أوربا ولكن سرعان ما أصبحوا الطبقة الغنية صاحبة النفوذ المسيطرة وحدها على شئون البلاد بأكملها والتفّت خيوطها حول كل ميادين الدولة «السياسة والصحافة والاقتصاد» وأصبح اليهود هم السادة الحقيقيين فى فرنسا . (٤١)

ولقد ساعد على انتشار الصهيونية فى فرنسا وتحقيق أهدافها تلك التسهيلات الضخمة التى منحتها الحكومة الفرنسية للمتجنسين بالجنسية الفرنسية وللإعفاء من الضرائب وهذا فى حد ذاته أتاح ليهود فرنسا التفوق الذى أحرزوه فى ميدان التجارة ومهّد لهم لشغل جميع المناصب الهامة والرئيسية خاصة فى مجال الآلية والبنوك .

واليهود لهم تاريخ سيئ فى فرنسا فقد حرص العهد الفرنسى القديم على عزل جميع اليهود من المجتمع الفرنسى كما عمدت الأسرة المالكة إلى القضاء عليه وطردهم أربع مرات من الأراضى بناء على الشكاوى التى كانْ الشعب دائماً يضجّ بها من جراء تصرفاتهم وأعمالهم .

---

(٤١) الصهيونية ، العدد الأول لفرنسا ، عام ١٩٢٧ .

وقد هاجم نابليون اليهود فى خطاب له بمجلس الدولة قائلاً:

«إن الشر الذى يلازم اليهود لا يرجع إلى الأفراد بل إلى تكوين هذا الشعب نفسه ! .. إنهم يخربون فرنسا كالدود والجراد» !

ولكن بعد الثورة الفرنسية أصبحت فرنسا ملكاً خاصاً لهم ثم استولى اللوبى الصهيونى الفرنسى على كل شئ !

سيطرة اليهود على الصحافة الفرنسية

ولك أن تتصور عزيزى القارئ أن الصحافة الفرنسية يسيطر عليها اليهود تماماً ليس من اليوم بل منذ الخمسينات وسوف أسرد لك الصحف الفرنسية والمشرفين عليها وكلهم من اليهود :

صحيفة «لانترونزيجان» (لاكول) لوبوبلير (لازار) لوفيجارو (كوتتا ريانو) «لوببيتى باريزيان» (جويف مران) «لوفر» (مارشال) اكسلسيور «جوزيف بران» .

فقد كانت إسرائيل هى التى تشرف على إدارة هذه المؤسسات الصحفية ! وبالتالى الكلمة العليا واليد الطولى لها دائماً فى الصحافة الفرنسية !

أما صحيفة «لوماتيتيه» فمن المعروف أنه قد أسسها اثنا عشر يهودياً هم «ليفى بروهل وليوس والياروديجز وليون بيكار وسالومون ريناس وبلوم وروف كازنيش !

لقد ثار يهود فرنسا على الأوضاع الفرنسية وعلى شيراك بعد أن زار لبنان لوقف آلة الحرب الجهنمية ولحماية المدنيين العزل من السلاح من طلقات المدفعية الإسرائيلية التى لا تعرف الرحمة ، وكانت زيارة شيراك للبنان أسطورية ، استقبل فيها استقبال الفاتحين وبداية صفحة جديدة واعدة لفرنسا فى منطقة الشرق الأوسط فى مواجهة مستترة للسيطرة الأمريكية فى المنطقة وكان رد الفعل المباشر لهذه الزيارة الناجحة هى مدافع بيريز وإرهابه فى لبنان والتى أحالت جنوبه إلى بحر من الدماء ..

كانت الرسالة سريعة ومباشرة فى أعقاب زيارة شيراك للبنان وكان معنى الرسالة واضحاً إلى الفرنسيين هذا رئيسكم شيراك يتجنى على شعب الله المختار !

ثورة اليهود ضد جارودى

أما الثورة الثانية ليهود فرنسا فكانت فى نفس التزامن ولكن هذه المرة كانت ضد أحد الرموز الفكرية البارزة فى فرنسا فى عالمنا المعاصر وهو المفكر رجاء جارودى الذى أصدر كتابه القنبلة «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» الذى يكشف

من خلاله أن إبادة اليهود فى أفران النازى مجرد أسطورة واهية يحاول اليهود دائماً أن يعزفوا عليها ولكنها سيمفونية نشاز !

وكان رد فعل اللوبى الصهيونى سريعاً ومباشراً أيضاً مثلما فى لبنان وكانت نتيجته هى تقديم جارودى للمحاكمة بدعوى معادة السامية وتبجيل العنصرية وكان بيريز أيضاً وراء هذه الأزمة التى يتعرض لها أكبر مفكرى فرنسا فى القرن العشرين الذى يواجه عقوبة أقلها السجن لمدة عام .

إن رجاء جارودى يجلس الآن منذ بداية الحملة التى استهدفته أمام التليفزيون ليسمع بأذنيه ويشاهد على مرأى عينيه البرامج التى أعدها اللوبى الصهيونى والتى تذاع على الهواء مباشرة .

وعلى سبيل المثال سأل المذيع الفرنسى أحد المنتمين للصهيونية عن رأيه فى أقوال وأفكار جارودى الواردة فى كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» فكانت أجابته :

«إنها خرافات وهواجس .. إنه كتاب يجب أن يحرق وأن يعدم جارودى فى ميدان الكونكورد حتى تكون المسلمة المصرية شاهدة على إعدام محترف !

«ويطالب آخر بأن تكون محاكمة جارودى علنية حتى يكون عبرة لكل من تسول له نفسه أن يهاجم التاريخ الإسرائيلى» .

وتطالب إحدى المواليات للصهيونية بضرورة تجريد جارودى من كل ألقابه العلمية ووظائفه الجامعية وأوسمته التى حصل عليها باختصار تجريدهمن كل شئ ليصبح إنساناً معدماً!

وتصرخ أخرى كيف يجرؤ هذا الأبله على مهاجمتنا ؟!

إذا لم يحصل على العقاب الرادع فسوف يشجع الآخرين على مهاجمة اليهود .. أنزلوا به أشد العقاب !

إذن لقد داس بيريز على زناد الإرهاب .. الإرهاب بمعناه الواسع .. مدافع الكاتيوشا والقنابل المدمرة والرصاص المنهمر بلا رحمة فى صدور المدنيين العجائز والأطفال والإرهاب الفكرى متمثلاً فى محاولة دفن جارودى وأفكارهحيا !. (٤٢)

سارتر والمسألة اليهودية

وهذا كاتب فرنسى نشأ فى أحضان الصهيونية فى فرنسا وأصبحت له شهرة عالمية بفضل اللوبى الصهيونى .. لقد اختار الطريق السهل من أجل الشهرة والمال والجنس . الفيلسوف الفرنسى الشهير «جان بول سارتر» .. صهيونى حتى أطراف أصابعه !! ولد سارتر فى يونيو سنة ١٩٠٥ وكان أبوه ضابطاً فى البحرية الفرنسية – أما أمه آن مارى شفيتز فقد كان عمها

---

(٤٢) جريدة الأنباء الكويتية ، مايو ١٩٩٦

الدكتور البير شفيتز الطبيب والمؤلف المعروف الذى حصل على جائزة نوبل وقد فقد سارتر أباه وهو فى الثانية من عمره فأخذته أمه من بيت الزوجية وذهبت إلى منزل أسرتها لتعيش فى كنف جده .

ويقول سارتر فى (الكلمات) بعد زفاف أمى إلى الضابط البحرى «جان باتيست» سنة ١٩٠٤ أنجب ولداً هو أنا !! ولكنه كان مريضاً وكانت أمى تعنى به عناية خاصة ولكن دون أن تصل بها الجرأة إلى حد الحب - فقد كانت فى العشرين من عمرها ولما كانت أمى بلا مال ولا صنعة عادت إلى بيت والديها .. كان موت والدى أكبر حدث فى حياتى إذ أعاد أمى إلى أغلالها ومنحنى الحرية !! (٤٣)

وبدأ سارتر حياته الأدبية فى حجرة مكتب جده لأمه وفى سنواته الأولى دخل مدارس كثيرة ولكنه كان يرسب فى امتحان القبول وكان جده يحضر له المدرسين فى البيت على طريقة البورجوازيين الفرنسيين ، واستمر فى الدراسة ودخل السربون وشهدت مدرجات السربون أول لقاء بينه وبين سيمون دى فوار سنة ١٩٢٩ وبدأت الصداقة واللقاءات المتعددة فى مطعم بالزار وعلى شاطئ السين وفى حديقة اللوكسمبورج وحول نافورة

---

(٤٣) جان بول سارتر ، (الكلمات) ، بيروت ١٩٦٩

ميديسى - ثم أصبح سارتر أستاذاً بالسربون وبدأ يكتب المقالات والبحوث - وبدأ صيته يذاع وينتشر وبدأت متاعب الشهرة !!

وبدأت فلسفته تتضح ومسرحياته تعرض وقصصه وبحوثه تباع بأعداد كبيرة ومنذ سنة ١٩٣٦ عرف العالم «جان بول سارتر» ذلك الشاب الفرنسى الذى كان يتسكع على مقاهى مونمارتر ومونبارناس وعلى طول الشانزليزيه .. يقرأ الصحيفة فيتسكع خلال سطورها ويقرأ الكتاب فيتسكع بين صفحتيه .. إنه التسكع الفكرى بين أروقة الكتب !!

وصارت تخرج من حجرة مكتبه بحوث وقصص ومسرحيات تهافتت دور النشر عليها !

ولقد صدر لسارتر كتاب يتناول المسألة اليهودية والكتاب يقع فى ١٥٠ صفحة وعنوانه «عدو السامية .. واليهودى» (٤٤)

وسارتر اشتهر باتخاذ مواقف سياسية كثيرة وجادة تنطوى على الوقوف إلى جانب الحق والعدالة ولعل نضاله الشهير من أجل حرية واستقلال الجزائر مازال ماثلاً فى الأذهان .. وصموده فى وجه العسكرية الرجعية فى فرنسا كان رمزاً لمسئولية الإنسان المثقف نحو مجتمعه .

---

(٤٤) سارتر : «عدد السامية واليهودى» .

ولكن سارتر فى هذا الكتاب يدافع عن اليهود فاليهودى فى رأيه يولد كما يولد أى إنسان على وجه الأرض .. ولكن عندما يعلم الناس بأنه يهودى فهو يعامل كيهودى .. فهو مضطهد من كل شعوب الأرض .. ! فاليهودية صفة تميزه وتفصله فى الوقت نفسه عن الآخرين .

وسارتر محام .. محام زكى يحاول أن يخفى نقط الضعف فى موقف موكله ولهذا فهو يمر مرور الكرام على نقاط ضعف اليهود .

ويصمت عن حقوق العرب المشروعة ولم يذكر الصهيونية إلا فى سطور قليلة .

فى اكتوبر سنة ١٩٤٥ كتب سارتر وهو يقدم العدد الأول من مجلته «العصور الحديثة» : إن هدفنا هو المساهمة فى إحداث تغيرات معينة فى المجتمع الذى نعيش فيه . ويقول إننى أعد فلوبير والأخوة جونكور مسئولين عن المذابح التى تلت قيام كوميون باريس سنة ١٨٧١ لأنهم لم يكتبوا سطراً واحداً يمنع هذه المذابح .

إن وظيفة الكاتب هى العمل على ألا يظل أى فرد يجهل ما يحدث فى العالم بحجة أنه كان يجهل ما يحدث .

والعمل الأدبى وثيقة بين إرادتين حرتين فهو (وثيقة حرية)

لا يمكن أن تكون ضد الحرية ولو كتب كاتب رؤيا تعظم من الاستعمار مثلاً وتشجع على الاضطهاد العنصرى فما يقدمه هذا الكاتب ليس أدباً وليس فناً لأن جوهر الأدب والفن هو حرية الإنسان ولكن هذه الرؤيا تعادى حرية الإنسان وتلغيها فهى ضد الحرية ضد جوهر الأدب والفن .

وسارتر يرفض أن يكون اليهود جنساً محدداً أو قومية محددة وإنما هم جماعة تترابط بروابط دينية وغير تاريخية وهو يطرح المشكلة على أنها مشكلة الذين يضطهدون اليهود أكثر من مشكلة اليهود أنفسهم فسارتر يحلل المسألة اليهودية بين فردين أحدهما مضطهد والآخر .. مضطهد . !! ولهذا فإن تحليل سارتر ناقص ومبتور . (٤٥)

وسيقال أيضاً ما قاله سارتر عن فلوبير وبلزاك حين نعى عليهما صمتهما إزاء أحداث سنة ١٨٤٨ سنة ١٨٧٠ حين قال :

«لقد كان مؤسفاً عدم إكتراث «بلزاك» بأحداث سنة ١٨٣٨ وعدم تفهم «فلوبير» لكوميون باريس سنة ١٨٧٠ – وهذا مؤسف لقد فوتا على نفسيهما إلى الأبد شيئاً هاماً .. ونحن لا نريد أن نفوت من زماننا .. وقد يكون هناك زمان أروع وأجمل ولكنه مع ذلك زماننا محسوب علينا فليست لنا إلا الحياة التى

---

(٤٥) مجلة العصور الحديثة ، باريس ، عدد اكتوبر ١٩٤٥ .

نحياها وسط هذه الحرب وربما وسط هذه الثورة !!

وللقارئ الجاد الذى يقدر مواقف سارتر السابقة عن الحرية ينتظر جواباً على هذا الصمت المطبق !

وإلا .. فإن صمته يحسب عليه كما يحسب القارئ مواقفه الجادة التى عفا عليها الزمن ! (٤٦)

فى الجزء الثالث من دروب الحرية سنة ١٩٤٦ - والذى أطلق عليه سارتر «الحزن العميق» فى هذه الرواية تبرز ثلاث شخصيات (فيليب) الشاعر الذى ينادى بالسلام و «دانييل» المنحرف جنسياً و «ماثيو» الجندى المحارب .

وعندما يدخل الألمان باريس فى يونيو سنة ١٤٠ يحاول فيليب أن ينتحر فيلقى بنفسه فى نهر السين ويراقبه دانييل - وعندما يهم بالقفز يسارع بإيقافه ودانييل يشغفه جسد الجنود الألمان لقد نسى توبته فى جمال جسد هؤلاء الشباب ، ويأخذ دانييل بيد فيليب إلى شقته ويمده لزفافه إليه فى تلك الليلة !! أمد «ماثيو» فهو جندى صغير فى فرقة نسى أفرادها أنفسهم كعسكريين وسكروا أو ماتوا أو ضلوا الطريق ويدفن ماثيو يأسه وفشله فى جرائمانتقامية تستمر لمدة خمس عشرة دقيقة يطلق خلالهاالرصاص على الإنسان والفضيلة والعالم والحرية على كل

(٤٦) سارتر : دروب الحرية ، الجزء الثالث عام ١٩٤٦

جمال الأرض .. على الشارع .. على الأزهار على الحدائق .. على كل ما هو جميل فى هذه الحياة .. !

إن سارتر يتقمص الآن شخصية وضع معالمها سنة ١٩٤٦ فى قصته هى شخصية «ماثيو» فسارتر يطلق الآن الرصاص على كل القيم الإنسانية النبيلة .. على كل الاعتبارات الأخلاقية .. على أدبه الذى طالما نادى بالحرية !!

إن سارتر عبر عن نفسه ببراعة فى شخصيته «ماثيو» ! (٤٧)

وبعد٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ – صدرت منشورات من الكتاب الصهاينة فى باريس تدين العرب وتدافع عن إسرائيل .. !

ولقد كان أبرز الأسماء التى كتبت هذه المنشورات / سيمون دى بوفوار – جان بول سارتر .

والغريب أن سيمون دى بوفوار – قد زارت مصر فى أوائل سنة ١٩٦٧ – ثم زارت غزة حيث رأت اللاجئين الفلسطينيين فى مخيامتهم وشهدت واقع المأساة الفلسطينية على الطبيعة .

ولو أن سيمون دى بوفوار لم تقم بهذه الزيارة لقلت إنها معذورة ولكنها تحدثت مع الشيخ / العجوز عبد الرحمن سالم – كهل عجوز فى الخامسة والستين من عمره .. وقفت تستمع

---

(٤٧) جان بول سارتر : دروب الحرية ، الجزء الثالث ، عام ١٩٤٦ .

وهو يحكى كيف كانت بيارته جميلة .. وكيف كانت ثمارها أجمل الثمار وجاء من قطف هذه الثمار وهى دانية القطوف واغتصب الأرض !

واستمع سارتر إلى فتاة لاجئه أسمها (عفاف الإدريسى) وقفت تقول «هل فكرت يوماً كيف يكون حالك لو جلست فى خيمة وبلدك وأرضك ووطنك على بعد النظر منك تراها وهى محرمة عليك .. وتمر عليها صباح كل يوم .. ومساء كل يوم .. وممنوع عليك أن تسير فيها وأن تعيش بين جنباتها .. تستعيد مع الأصدقاء ذكريات الأيام الجميلة .. هل جربت يا سيدى الكاتب الكبير هذه المحنة .. انت لم تجربها قطعاً .. ولكننا نعيشها كل لحظة . !

ولقد وقعت فرنسا سنة ١٩٤٠ - وفى شهر يونيو بالذات فى محنة شبيهة بمحنة العرب حيث قامت القوات الألمانية النازية باجتياح الأراضى الفرنسية وتكتب سيمون فى أحد كتبها تعليقاً على هزيمة فرنسا سنة ١٩٤٠ - فتقول «منذ يونيو سنة ١٩٤٠ تعلمنا الغضب والكراهية تمنينا إذلال أعدائنا » (٤٨)

هذا ما تقوله سيمون دى بوفوار عن الذين احتلوا بلادها سنة ١٩٤٠ .

---

(٤٨) سيمون دى بوفوار : مذكراتها ، باريس ١٩٦٥

فما هو الفارق إذن بين الاحتلال النازى لفرنسا سنة ١٩٤٠ - والاحتلال الصهيونى للبلاد العربية ؟

لا فرق على الإطلاق .. مع هذا تقول سيمون إن حرب العرب ضد إسرائيل .هى حرب إبادة بدلاً من أن تصف هذه الحرب بوصفها حرب تحرى للأراضى المحتلة .

وسارتر يقول فى كتابه (ما الأدب ؟) الذى أصدره سنة ١٩٤٧ - إذا تكلم الكاتب فهو إنما يصوب قذائفه وفى إمكانه الصمت ولكنه إذا اختار أن يصوب فيجب أن يكون له تصويب رجل يرمى إلى أهداف .. لا تصويب طفل على سبيل المصادفة مغمض العينين لا يريد أن يستمع إلا دوى سماع الطلقة !

وهذا ما حدث بعد ٦ اكتوبر فسارتر كان طفلاً صغيراً يريد أن يستمتع بأصوات المفرقعات والألعاب النارية ولكنه طفل صوب وهو مغمض العينين فكان تصويبه خائباً ولم يسمع دوى الطلقة فلم يستجب الشعب الفرنسى الصديق لهذه الألعاب الصبيانية !!

وفى سنة ١٩٣٩ - اختلف جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار فى مدينة نابلى بإيطاليا حول سؤال هل من الضرورى إلزام السكان بالبقاء فى البيوت التى تبنى لهم .. أم تترك لهم الحرية دون إلزام ؟؟ .

وانتهت المناقشة بأن صاح سارتر فى وجه سيمون «أنت فاشستيه» وردت سيمون فى عصبية وأنت لن تصل فى حياتك إلى شئ .. لا شئ .. لا شئ !

وهذا الحوار هو الواقع الآن مع وجود اختلاف فالسكان فى مدينة نابلى يمكنهم الانتقال من منازلهم إلى منازل أخرى أما اللاجئون الفلسطينيون خرجوا من أراضيهم المغتصبة إلى خيام فى مهب الريح ! (٤٩)

والواقع أن سارتر وسيمون قد عبروا عن أنفسهم فى هذه المناقشة الصريحة !

فسيمون فاشستيه أما سارتر فهو لا شئ ! .. لا شئ !

والسر وراء هذا التغيير أن سارتر تحيط به مجموعة من الشباب الذين يؤمنون بالصهيونية ويدافعون عنها ويتحمسون لها ، فهناك الكاتب الصهيونى كلود لانزمان مدير تحرير مجلة «العصور الحديثة» وسكرتير سارتر الخاص لفترة طويلة .. وروبير مزراحى صاحب كتاب «الأرض والعرب والإسرائيليون» الملئ بالدفاع الحار عن إسرائيل !

---

(٤٩) سارتر : (الآداب) عام ١٩٤٧

فهناك العلاقات الشخصية بين جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار التى لا يعرفها إلا الناظرون من فتحات الأبواب .. !

والعلاقة بين سيمون والكاتب الصهيونى كلود لانزمان ليست علاقة أدبية وفكرية وإنما هى علاقة نزوات خاصة . إن الكلاب الضالة تهز أذيالها تحية للغريزة الجنسية !

منتهى العذر لسارتر وعشيقته سيمون !

الكتاب الذى تفجر شظايا فى
وجه الصهيونية

محتويات الكتاب الذى انفجر كالقنبلة

ويشتمل كتاب جارودى على مقدمة وأربعة فصول ساخنة فالباب الأول بعنوان «الأساطير الدينية» ويحوى ثلاثة فصول أولها من أسطورة الأرض الموعودة ، أما الفصل الثانى فهو يتناول «أسطورة شعب الله المختار» ، ثم فصل ثالث عن «أسطورة يشوع» ، أما الباب الثانى فهو أساطير القرن العشرين وهو يشتمل على أربعة فصول أولها عن أسطورة مهاجمة الصهيونية للفاشية ثم أسطورة محاكمات نوربرج ثم أسطورة «الهولوكست» وأخيراً أسطورة أرض بلا شعب ، أما الباب الثالث فيعرض أسطورة «المعجزة الإسرائيلية فى التمويل الخارجي لإسرائيل من خلال اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وألمانيا» . (٥٠)

وأشد ما يزعج اليهود فى كتاب جارودى هو أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية والتى استند فيها جارودى على مرجع كتاب «بن جوريون» النبى المسلح الذى صدر فى باريس عام ١٩٦٦ ، والتى يؤكد من خلال من زوهار على أن إسحاق شامير ارتكب جريمة شنعاء لا تغتفر وهى الدعوة إلى التحالف مع هتلر وألمانيا النازية وكان ذلك عام ١٩٤١ جنوب بريطانيا ، وعندما بدأت

---

(٥٠) رجاء جارودى : Rager Garaudy : Les Mythes Fondateurs de la palitique israelienne : Samisrdat

الحرب ضد هتلر وألمانيا النازية وقفت المنظمات الصهيونية مع الحلفاء يساندونهم إلا الجماعة الصهيونية فى ألمانيا رغم أقليتها وقفت تساند هتلر ورغم أن هتلر كان يطرد اليهود من وظائفهم العامة الهامة إلا أنه فى الوقت نفسه استثنى القادة الصهاينة من الألمان من هذه المعاملة السيئة .

اليهود والسياسة الدولية

ويكشف جارودى مدى التواطؤ مع السلطات النازية وكان الاهتمام بإنشاء دولة يهودية قوية . وبعد الحرب أصبحوا قادة إسرائيل مثل اسحاق شامير ومناحم بيجين .

وقد نشرت «الجويش كرونيكل» بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٣٩ خطاباً من حاييم ويزمان رئيس الوكالة اليهودية إلى رئيس وزراء انجلترا تشمبرلين يقول له فيه :

«إننا نحن اليهود سنقف بجانب بريطانيا فى حربها لأنها نصيرة الديمقراطية فى العالم» .

وكان رد فعل الألمان بالطبع هو احتجاز اليهود الألمان فى معسكرات الاعتقال باعتبارهم رعايا شعب فى حالة حرب مع ألمانيا وهو ما حدث مع المواطنين الأمريكان من أصل يابانى حين دخلت أمريكا فى حرب مع اليابان !

ويؤكد جارودى على أن الهدف الأساسى لقادة إسرائيل هو إقامة دولة يهودية فى فلسطين ، وهذا ما أكده بن جوريون فى كلمته أمام زعماء الصهاينة اليهود من العمال فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٣٨ أى قبل عشر سنوات من إنشاء دولة إسرائيل حين قال :

ولو خيرت بين أن انقل كل أطفال المانيا بإحضارهم إلى انجلترا أو إنقاذ نصفهم فقط بإحضارهم إلى إسرائيل لأخذت الحل الثانى لأننا يجب الا نحرص فقط على أطفال اليهود فقط ولكن أيضاً على تاريخ شعب إسرائيل أيضاً !!

وهذا ما أكده أيضاً شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل السابق فى مذكراته ويومياته بعنوان «معركة السلام» (٥١)

«إن أحلام اليهود يوم جاءوا ينشدون الاستقرار ليس الأرض وعناصرها فحسب بل هم شعب المنطقة الذين ما ادخروا وسعاً لاجتثاث اليهود من حيث غرسوا لقد سعت الدول العربية ومعها عرب فلسطين إلى منع خلق الدولة اليهودية وهاجموها لحظة ولِدت ورفضوا لعهود لاحقة الاعتراف بوجودها .

تلك هى الحقيقة التى نشأ فى ظلالها اترابى من شبيبة

---

(٥١) شمعون بيريز : يومياته (معركة السلام) ، ترجمة عمار فاضل ، الدار الأهلية ، الأردن ، عمان .

الفلسطينين واليهود حتى بلغوا الكبر وحملوا أعباء المسئولية ، وقد خبرت العوز المادى كشأن العديدين فى الحركات الرائدة حتى ترانى أصارع التربة الصخرية وأقضى الليل حارساً والنهار تارة فى العمل وتارة أخرى أعايش الهمّ ، لقد أمضينا عمرنا فى حالة من قلق متواتر وفى جو مضطرب من الوعى القومى ندرك الذى حولنا ريثما كتب التاريخ اليهودى وغدونا جزءاً من صنّاعه» .

ويعرى جارودى من خلال كتاب «بن جوريون» العلاقات بين النازية والصهيونية ففى مقابل الاعتراف الرسمى بالزعماء الصهاينة بوصفهم الممثلين الوحيدين للطائفة اليهودية ومن أجل كسر الحصار والمقاطعة التى كان أعداء الفاشية يحاولون فرضها فى العالم ، وقد تمثل هذا التعاون بإنشاء شركتين هما شركة بالترو فى برلين فى مقابل شركة جعفرا فى تل أبيب . (٥٢)

مؤامرة اليهود لاغتصاب أراضى فلسطين

وأى يهودى ينوى الهجرة ما عليه إلا أن يودع مبلغ ١٠٠ جنيه استرلينى فى بنك ناسرمان فى برلين أو فى بنك فاربورج هامبورج وبهذا المبلغ يشترى المصدرون اليهود بضائع المانية وجهتها فلسطين ، مع رفع القيمة المقابلة بالعملة الفلسطينية

---

(٥٢) بن جوريون : (النبى المسلح) ، باريس ١٩٦٦

وحين يصل المهاجر إلى ارض الميعاد يتسلم ما يعادل المبلغ الذى أودعه فى المانيا !

وقد شارك عدد من زعماء إسرائيل فى هذه العملية ومنهم بن جوربون بنفسه وجولدا مائير وليفى اشكول وموشى شاريت وغيرهم '

ولقد كانت هذه العملية مثمرة للطرفين فقد نجح النازى فى تحطيم الحصار بينما استطاع الصهاينة بيع بضائع المانية ، ولهذا استطاع اليهود تحقيق هجرة منتقاة من المليونيرات اليهود والقادرين على الحرب والعمل إلى أرض الميعاد وكانت هذه الهجرة من أكبر العوامل المساعدة على تحقيق أهداف قادة إسرائيل فى إنشاء دولة لهم فى فلسطين عام ١٩٤٨

مصير أيخمان

ولقد استمرت سياسة التعاون المشترك قرابة ثمانى سنوات بعد وصول هتلر إلى الحكم . وكان ايخمان هو همزة الوصل فى هذا التعاون المشترك ولكن ماذا حدث لإيخمان الرجل الذى ساعد اليهود على هذه الهجرة الانتقائية التى ساعدتهم على تكوين دولتهم وحتى بعد أن أصبح بن جوريون الذى ساعده رئيساً لوزراء إسرائيل وفى عهده

ففى أبريل ١٩٦٠ هبط رجل طويل نحيل له أذنان بارزتان أصلع الراس من سيارة الأتوبيس فى حى «فراندو» بالقرب من بيونس أيرس عاصمة الأرجنتين وكان مظهر الرجل يوحى بالهدوء ، مجرد عامل يعود بعد يوم شاق من العمل .. ولكن فى أعماقه كان شيئاً آخر . حذراً متوتر الأعصاب كما كان طوال خمسة عشر عاماً مضت !

ثم توقفت فجأة سيارة سوداء مقفلة كل نوافذها بالستارة المعدنية وفتحت أبوابها وقفز منها أربعة رجال فحاول هذا الرجل أن يعدو ولكن دون جدوى فلقد كان محاصراً من كل جانب وقال الرجال :

اصعد يا رجل الفوهرر !!

سمع الرجل هذه الكلمات التى كانت لها وقع الصدمة عليه وفتح فمه ليصرخ ولكن شيئاً كان اسرع من صراخه شيئاً هوى على رأسه بضربة قوية فتهاوى على الأرض ، وامتدت يد الرجال لتدفع بالجسم الذى غاب عن الوعى داخل السيارة المقفلة وأسرع الرجال الأربعة بالركوب بينما اضاء سائقها أنواره الكاشفة وأطفأها مرتين ثم انطلق بسرعة !

لقد انتهت المطاردة الكبرى التى أثارت اهتمام العالم كله ! واصبح أدولف أيخمان الرجل الذى كان يفخر بأنه قاتل اليهود

الأول فى العالم اسيراً بين أيدى أكثر الناس حقداً بين اليهود أنفسهم !

وظل أيخمان بعد الحرب العالمية الثانية مختفياً لا احد على الإطلاق يعرف مكانه ، والسر فى ذلك يرجع إلى محاولته لإخفاء صورته وعدم تركيز الأضواء عليه طوال فترة حكم هتلر فى ألمانيا وفى خلال الحرب كان إيخمان يعمل رئيساً لإدارة الأمن التى انشأها النازيون ومسئولاً عن معسكرات الموت وغرف الغاز وأفران حرق الجثث وأوامر النفى والإعدام

ولقد وقع أيخمان بين أيدى القوات الأمريكية في مايو ١٩٤٥ ولكن لم يتعرف عليه أحد فقد كان يرتدى ثوباً عسكرياً ممزقاً وملطخاً بالقازورات انتزعه من جثة أومباشى بسلاح الطيران الألمانى وحمل معه البطاقة الشخصية للجندى القتيل .. واصبح مجرد جندى ألمانى بالنسبة للقوات الأمريكية وفى معتقلات اسرى الحرب فر أيخمان هارباً من الأنظار . وبعد إنتصار الحلفاء فى أوربا أصبح اسم أيخمان فى قائمة الرجال المطلوبين .. ولكن لم يمض وقت طويل حتى نسى أكثر العالم اسم أدولف أيخمان ولكن البعض ظل يذكره ولقد أنشأت إسرائيل عشاً لمخابراتها فى حيفا يسمى «مكتب الوثائق التاريخية للحرب العالمية الثانية» ومهمته الحقيقية البحث عن الأشخاص الذين

ارتكبوا الجرائم فى حق يهود العالم ومن وسائلهم استغلال الجاليات اليهودية المنتشرة فى جميع أنحاء العالم لتجميع المعلومات والوثائق عن هؤلاء الأفرد

وبالفعل فى يونيو ١٩٤٥ راح عشرات من العملاء السريين وبعضهم عضو فى إدارة المخابرات الإسرائيلية يفتشون عن أيخمان وفى أيديهم ورقة واحدة وهى أن أيخمان عاش طفولته فى مدينة لينز بالنمسا وكانت زوجته وأطفاله يعيشون فى هذه المدينة وأرسلت إسرائيل سنة ١٩٥٦ أحد عملائها ويسمى «روثمان» ليشترى دكاناً صغيراً يقع على مقربة من البيت الذى تشغله أسرة أيخمان للمراقبة وحتى بعد أن انتقلت زوجته من مدينة لينز ظل روثمان باقياً على أمل أوهى من نسيج العنكبوت لأن أيخمان قد يعود يوماً ويحن لذكريات الطفولة ،

وترددت الشائعات بأن أيخمان شوهد بالفعل فى ألمانيا ومصر وتركيا وسوريا وإسبانيا ولكن العملاء لم يصلوا إلى أى نتيجة تتعلق بمصيره ، ولكن فى مارس عام ١٩٥٧ شوهد أيخمان لأول مرة وهو خارج من محل تجارى وهو يشعل غليونه!! ولكن شاهده اليهودى ولم ينجح فى متابعته فأرسل برقية سريعة إلى تل أبيب وظلوا يبحثون عن أيخمان ثلاثة شهور كاملة دون جدوى وفى مدينة لوزفيكجسيرج انشأت

المانيا الغربية مكتباً أطلقت عليه اسم «المكتب المركزى للادعاء الخاص بجرائم النازى» برئاسة الدكتور أولين اشكولى وفى سنة ١٩٥٩ أرسلت شرذمة من رجال المخابرات الإسرائيلية إلى المانيا الغربية وبعضهم من يهود المجر وكان أحد العملاء يستخدم اسماً مستعاراً «ساندوز فيكيت» وتقرر إيفاد ساندوز مع لاجوس مولنا وهو يهودى مجرى ، وكان وجود مولنا مفيداً للغاية لأنه قابل أيخمان عدة مرات سنة ١٩٤٤ فى بودابست وسافر الاثنان كل منهما على حدة كسائحين ورجال أعمال وسرعان ما ذاب الاثنان فى العناصر النازية فى بيونس أيرس .

ومرت عدة شهور .. ثم حدث فى شهر يناير سنة ١٩٦٠ أن سمع مولنا فى إحد البارات عبارة واحدة أتاحت أول أثر محدد للبحث .. فقال أحدهم :

«مسكين أيخمان إنه يصنع الآن اجزاء السيارات بينما كان فى يوم ما من أقوى الرجال فى التاريخ» !!

وعلى الفور ضيق العملاء نطاق بحثهم وقصروه على مصانع السيارات .. ومع المراقبة الشديدة شوهد رجل طويل يحمل ملامح شبيهة بأيخمان وابلغت القيادة العامة والمخابرات فى إسرائيل ببرقية وعلى الفور استأجرت مخابرات إسرائيل بيتاً يقع بالقرب من بيت هذا الرجل .. وخلف نافذة مفتوحة لا

تنسدل عليها إلا الستائر المعدنية كان يوجد تليسكوب ... الهدف منه كشف كل حركة داخل هذا المنزل

وذات مرة حدث ما كان غير عادى فى حياة هذا الرجل الخاصة وكان ذلك يوم ٢١ مارس عام ١٩٦٠ عاد من عمله يحمل باقة من الورود أهداها إلى زوجته بعد أن قبلها وهذا الحادث المفاجئ لم يحدث من قبل فى حياته الروتينية وهو السر وراء تقديم هذه الباقة ؟! سؤال تردد فى أذهان رجال المخابرات الإسرائيلية .. وبحثوا فى حياة أيخمان الخاصة فوجدوا أن يوم ٢١ مارس يمثل عيد زواجه .. وخطفوا أيخمان ورتبوا لعملية نقله إلى تل أبيب باتصال مع أبا ابيان الذى كان سفيراً لإسرائيل فى واشنطن فى ذلك الوقت .

وفى ١٩ مايوم عام ١٩٦٠ سمح لطائرة إسرائيلية نفاثة تابعة لشركة العال الإسرائيلية بالهبوط فى مطار ايزوزو بالأرجنتين على اعتبار أنها مستأجرة للوفد الإسرائيلى الذى كان مسافراً إلى البرازيل للاحتفال بعيدها القومى .. واستخرجوا له جواز سفر مزور وادعوا أنه رجل ثرى مريض ولابد من عرضه على طبيب عالمى وهذا يستتبع سفره على وجه السرعة لإنقاذ حياته .. واعدوا له قهوة مخدرة كلما أفاق أعطوه منها حتى لا يشعر بشئ طوال رحلة العجائب !

وفى ٢٣ مايو عام ١٩٦٠ وقف أيخمان أمام محكمة تل أبيب واتفقت إسرائيل مع شركات عالمية للتليفزيون لتصوير هذه المحاكمة .. وهذه الشركات الإعلامية يسيطر عليها الصهيونيون تماماً مثلما حدث مع جارودى - مع الفارق فى القياس بالطبع - الثعبان الصهيونى الإعلامى الذى يلتف حول كل من يحاول أن يعادى اليهود فى العالم أو يكشف ألاعيبهم وكان لهذا الحادث أثره السيئ على الأرجنتين وعلى دول أمريكا اللاتينية وبدأت الأرجنتين تنظر إلى اليهود من يومها على أنهم صفوف من الطابور الخامس الذى يهدد أمنها وسلامتها !

الشهادة التاريخية لأيخمان

ويستند جارودى فى كتابه على شهادة الجنرال أوهلندورف الذى كان يدير الجماعات المكلفة بإعدام المفوضين السياسيين فى جنوب روسيا وأعلن أثناء المحاكمة الدولية العسكرية أنه قد تلقى أوامر شفوية لإبادة اليهود باستخدام أجهزة خاصة تجهز عليهم حتى الموت .

ولقد كانت المفاجأة الكبرى أثناء شهاداته الثانية فقد نفى ما جاء من شهادته الأولى من أنه أباد ٩٠٠٠ وقال أن الرقم هو ٤٠,٠٠٠ فقط !! .. ولم يجرؤ أحد أن يكذب ما قال .

ولكن جارودى اليوم حين يكذب الرقم الذى يدعى اللوبى

الصهيونى أنه قد أعدم من اليهود يقدم جارودى إلى المحكمة الفورية .

والهدف بالطبع هو إخراس جاروى إلى الأبد وترويع وتخويف كل من يحاول أن يعيد كتابة التاريخ اليهودى بصورة صحيحة صادقة !

ولقد أكد جارودى فى كتابه :

ولقد سبق للبوليس السياسى فى بافاريا أن ذكر فى ٩ من يوليو ١٩٣٥ أن التنظيمات الصهيونية قد نظمت بين أعضائها والمتعاطفين معهم مجموعات لتشجيع الهجرة ، وشراء أراضى فلسطين ، والمساعدة على استعمار فلسطين .

إن هذه المجموعات لا تحتاج إلى موافقة حكومية ، لأنها تقتصر على دائرة مغلقة من اليهود .

ومع ذلك فليس لدي بوليس الدولة أى اعتراض ضد هذه الممارسات ، مادامت هذه المؤسسات مستخدمة لتسهيل الحل العملى للمشكلة اليهودية .

وحين نتصدى للمسألة من ناحية مسئولية الزعماء الصهيونيين ، عن مذابح اليهود على يد هتلر - على ما يبينه - ضمن آخرين - السيدة حنة أرنت فى كتابها : أيخمان فى القدس «والريانى موشى شنفيلد فى كتابه : «ضحايا المذبحة يتهمون :

وثائق وشهادات عن مجرمى الحرب اليهود» نيويورك ١٩٧٧ ومجموعة الوثائق المعنونة «التعاون النازى – الصهيونى» ، وقد نشرها جازا وفى استراليا (اليهود ضد الصهيونية ومعاداة السامية) ، وهى كلها مراجع رئيسية فى المسألة – إننا حين نتصدى لهذه المهمة يهمنا أن نؤكد عل جانبين رئيسيين فى المشكلة :

١ – إن الكشف عن جانب المسئولية الواقعى والهام ، للزعماء الصهاينة فى الكارثة اليهودية لا يستتبع بأية حال اننا نبرئ ، أو نهون من شأن الرعب ففى الحق إن الزعماء الصهاينة كانوا يؤملون فى استخدام هذه الانفجارات المعادية للسامية ، من أجل نجاح حركتهم . فهم يرون أن معاداة السامية قد تقوى الشعور بالمجتمع القومى اليهودى ، وتدفع الهجرة إلى الأمام ، فتسهم فى إبلاغهم أهدافهم الجوهرية ، التى لم تكن إنقاذاً فردياً لحياة اليهود ، وإنما كانت تحقيقاً لدولة قوية فى فلسطين .

فى عام ١٩٢٥م قام أحد المناظرين الكبار للصهيونية (وكان مشاركاً فى نشر الموسوعة اليهود الأثرية) ، وهو يعقوب كلاتزكن بتعريف العلاقات اليهوديةالصهيونية – وبين معاداة السامية . فقال : «وإذا كنا لا نقر شرعية معاداة السامية فإننا ننكر شرعية قوميتنا الخاصة وإذا كان شعبنا يستحق أن يعيش

حياة قومية ، وهو يريد ها ، فهو إذن جسم غريب فى الأمم التى يعيش بين ظهرانيها ، جسم غريب يركز على شخصيته الخاصة به ، فمن العدل إذن أن تكافح هذه الأمم ضدنا فى سبيل تكاملها القومى» .

وبدلاً من أن ننشئ جمعيات للدفاع ضد المعادين للسامية ، الذين يريدون أن يمنعونا حقوقنا .

وينبغى الاعتراف بأن يعقوب كلاتزكن كان يرى بطريقته توافق الفكرة الصهيونية ومنطقتها ، فهو يقول : «إذا كان العدو هو الدمج (أى المساواة فى الحقوق) وإذا كان الهدف الرئيسى هو إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، فإن معاداة السامية فى الحقوق هو على العكس عقبة فى طريقه» .

وكتب سيجفريد مؤسس الاتحاد الصهيونى الألمانى ، فيما بعد ، مقالاً فى مجلة يذكر هذا المبدأ الأساسى للصهيونية فقال : «إن الدفاع ضد معاداة السامية ليس مهمتنا الرئيسية ، وهو لا يخصنا كذلك ، وليس له من الأهمية قدر ما للعمل من أجل فلسطين .

بدون هذا الخيط القائد سوف يكون من المستحيل أن نفهم سياسة الحركة الصهيونية فى عصر المستبدين (الديكتاتوريين) .

وإليك فقرات من مذكرة أشار إليها الريانى جداشيم بزنر

عام ١٩٣٧ عندما غادر برلين إلى أمريكا ، والمذكرة موجهة من الاتحاد الصهيونى بألمانيا يعرفون أن الصهيونيين وحدهم هم الذين يستطيعون تمثيل اليهود تمثيلاً صحيحاً فى المفاوضات مع الحكومة النازية .. إن نهضة الحياة القومية ، تلك التى تتجلى فى ألمانيا ، بالتزامها بالقيم المسيحية والقومية - يجب أن تحدث كذلك فى المجتمع القومى اليهودى ، فأما اليهود فإنهم يرون أن الأصل ، والدين ، ومجتمع المصير والضمير الجماعى ، يجب أن تكون هذه كلها ذات مغزى حاسم فى تشكيل الحياة. إننا فى تأسيس الدولة الجديدة ، التى أعلنت مبدأ الجنس - نأمل فى أن نكيف مجتمعنا بهذه اللبنات الجديدة ... إن معرفتنا اليهودية تسمح لنا بإقامة علاقات واضحة ، ونقية مع الشعب الألمانى ، وواقعياته القومية والعرقية ، وذلك لأننا ، على وجه التحديد - لا نريد أن نبخس هذه المبادئ الأساسية قدرها ، المختلط ولأننا أيضاً ضد الزواج المختلط ، من أجل الحفاظ على نقاء المجموعة اليهودية .. إن اليهود الواعين لشخصيتهم والذين نتحدث باسمهم ، يمكن أن يجدوا مجالاً فى بيئة الدولة الألمانية ، لأنهم متحررون من الحقد الذى يشعر به اليهود المندمجون ، ونحن نعتقد فى إمكان قيام علاقات قانونية بين اليهود الواعين بمجتمعهم ، وبين الدولة الألمانية .

إن الصهيونية ، لكى تبلغ أهدافها العملية ، تؤمل أن تكون

قادرة على المشاركة حتى مع حكومة تخاصم اليهود أساساً . وإن تحقيق الصهيونية لا يعوقه إلا حقد اليهود ، فى الخارج ، ضد الاتجاه الألمانى الراهن ، وإن الدعاية من أجل المقاطعة ، الموجهة حالياً ضد ألمانيا هى فى جوهرها - غير صهيونية.

وقد استمر هذا العمل المشترك بين الزعماء الصهاينة والنازيين حتى عام ١٩٤١ ، وهو عمل لم ينقطع مطلقاً بتأثير قوانين نورمبرج العنصرية ، عام ١٩٣٥ وعندما صدرت هذه القوانين للمحافظة على نقاء الدم الألمانى ، أدلى كيرسكى رئيس المجتمع اليهودى - قديماً - فى برلين بحديث إلى مجلة «انجريف» التى كان يصدرها جوبلز ، قال فيه : «إن قوانين نورمبرج تبدو لى ، خارج صياغتها القانونية ، مطابقة تماماً للرغبة فى حياة منفصلة ، تقوم على احترام متبادل» .

وكتب لينى برنر : «إن الزعماء الصهاينة كانوا مقتنعين بأن التشابه بينهم وبين النازيين كان كافياً ليعاملهم هتلر باعتبارهم «رفقاء أمناء» ، من أجل تحقيق انفراج دبلوماسى ، وذلك لأنهم كانوا عنصريين يعارضون الزواج المختلط ولأنهم كانوا يعتبرون أن اليهود غرباء فى ألمانيا ، ولأنهم كانوا أعداء لليسار» .

فعلى حين أن الصهاينة لم يكونوا يمثلو فى ظل جمهورية ويمر سوى أقلية ضيئلة جداً من اليهود ، فإن الزعماء الصهاينة

وقد كانوا مدركين أن سياستهم فى التهجير إلى إسرائيل مع إرادة النازيين التخلص من اليهود فرضوا أنفسهم متحدثين وحيدين . مع الحكومة الهتلرية .

وكتب كسرين كايسود تقريراً قدمه إلى المؤتمر الرابع والعشرين وللاتحاد الصهيونى لألمانيا فى يوليو ١٩٣٢ - قال :

«عندما نقيم عمل كرين . كايسود فى ألمانيا ، فيجب ألا ننسى أن علينا فى ألمانيا أن نحسب حساباً ، لا لعدم المبالاة لدى عدد كبير من اليهود فحسب ولكن ايضاً لخصومتهم» .

وكتب جيرار ، الزعيم الصهيونى ، فى عدد ديسمبر ١٩٣٠م «إن البرنامج الصهيونى يتصور المجتمع اليهودى كلا مسنجماً ، غير قابل للانقسام ، على أساس قومى . إن مقياس اليهودية ليس إذن اعتقاداً دينياً ، ولكنه شعور كلى بالانتماء إلى مجتمع عنصرى ، متحد بروابط الدم ، والتاريخ ، وإرادة الاحتفاظ بشخصيته القومية» .

تلك كانت اللغة ، والموضوعات التى عالجتها : «الاشتراكية القومية الهتلرية» . فليس غريباً إذن أن تجد مفاهيم من هذا القبيل صدى مناسباً لدى النازيين ، وقد كتب المنظر النازى الأكبر ، الفريد روز نبرج يقول : إن الصهيونية يجب أن تؤيد بقوة ، حتى تتمكن من نقل فرقة سنوية من اليهود الألمان

إلـى فلسطين .

إن الاتحاد المركزى للمواطنين الألمان ذوى الإيمان اليهودى (وهو يمثل $\frac{4}{5}$ اليهود الألمان عام ١٩٢٥م ، وهى أغلبية ساحقة ، ذلك الاتحاد الذى كان يعتبر اليهود ضمن الألمان ، وركز جهده بناء على ذلك لهدف هو أن يكونوا من الألمان جميعاً ، وقد كافح منذ تأسيسه ضد معاداة السامية لا من أجل الإنفصالية والهجرة – ذلك الاتحاد كان يؤكد على الخطر الذى تخلقه الصهيونية ، لأنها كانت تتبنى «بعض المسلمات التى يعتنقها القوميون الألمان» ، كما أن الحركة الصهيونية ضربت الكفاح ضد الفاشية» بطعنة فى الظهر .

وقد نجح الاتحاد الصهيونى لألمانيا «بمساعدة النازيين» فى أن يستحوذ على احتكار تمثيل اليهود فى الرايخ الثالث ، بأن أبعد بالتدرج الاتحاد الذى كان يكافح الهتلرية دون هوادة .

وفى ٤ من يوليو ١٩٣٩م أنشئ بالأمر «اتحاد يهود الرايخ» ، الذى كان اليهود ملزمين بالانضمام إليه ، والفقرة ١٢ من هذا الأمر كانت تحدد الغاية منه ، وهى أن «اتحاد يهود الرايخ يهدف إلى تشجيع كل اليهود» وهكذا يتيح تحقيق هدف المشرع الألمانى ، وهدف الصهيونية للقادة الصهاينة أن يقوموا بدور القادة بين اليهود الألمان .

فى جريمة النازيين ، أو أننا نغضى عن جريمتهم ضد الإنسانية ، أو عن جريمتهم ضد اليهود ، وأن مثال التشنيعات المنظمة التى دبرها الصهاينة ضد كتاب حنة أرنت لذو دلالة على خبث مسعاهم ، وقد ادانته حنة أرنت نفسها ، ذاكرة الحملة المدبرة ضدها ، ولخصتها على النحو التالى :

«إن كل إنسان عرف واكد أن «رايى» هو أن اليهود قتلوا انفسهم بانفسهم» .

جـارودى يكشــف اللوبـى
الصـهيونى الأمريكى

ويستعين جارودى برأى بول فندلى فى كتابه «من يجرؤ على الكلام» حين قال : إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلى على السياسة الخارجية للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط يفوق بكثير تأثيره فى بلده» !! (٥٣)

وعن المساعدات الأمريكية لإسرائيل والتى تفوق الدعم للشعب الأمريكى نفسه !

إن أمريكا تفضل إسرائيل على نفسها ، «إن قوة اللكمة اليهودية تأتى من القفاز الفولاذى الأمريكى الذى يلفها والدولارات التى تبطنها» !!

ما أن بدأت الأزمة فى الأفق فى مايو ١٩٦٧ - حتى بدأ سيل جارف من الكتب والمحاضرات والمجلات يظهر معلقاً على الأزمة وأسبابها وما يمكن أن يترتب عليها من نتائج ومن سوء الحظ أن الكثرة الساحقة من هذه المنشورات تعرض وجهة النظر الإسرائيلية وتتبناها دون نظر إلى حقوق العرب وما أصابهم من ظلم .. ولم يكتشف إلا القليل جداً عن الأسباب الحقيقية لهذا الصراع .

وهناك مقالة كتبها «سيرجون باجوت غلوب» وهى فى

---

(٥٣) بول فندلى : «من يجرؤ على الكلام» .

الأصل محاضرة كان قد ألقاها فى «معهد الشرق الأوسط» بواشنطن فى ٢٦ أكتوبر ١٩٦٧ .

يعرض «غلوب» وجهة نظره فى أزمة الشرق الأوسط التى تغاير ما كتبته الصحف فى أمريكا والغرب وفى رأيه أننا لن نفهم الحاضر إلا إذا وعينا الماضى والتاريخ البشرى الذى يمتد عبر خمسة آلاف سنة شهد امبراطوريات شيدها الفراعنة والأشوريون والبابليون والفرس القدماء والإسكندر الأكبر واليونان والرومان والعرب والعثمانيون ثم البيزانطيون وتشترك كل هذه الامبراطوريات فى صفة واحدة هى أنها جميعاً حكمت مصر والسر فى ذلك يرجع إلى سببين أولهما : أن مصر ومنطقة الشرق الأوسط هى الطريق الأوحد الذى يصل أوربا ودول البحر المتوسط بالمحيط الهندى والهند وأندونيسيا واستراليا والشرق الأقصى . (٥٤)

وثانيهما : أن الشرق الأوسط هو المركز الذى يصل بين أوربا وأسيا وافريقيا ثم يستعرض «غلوب» الوجهات التاريخية المعروفة ويقول : «وهكذا فى زمن قصير نجد أن هؤلاء القوم قد استطاعوا أن يهزموا أقوى امبراطوريتين فى عصرهم هما الامبراطورية البيزنطية والفارسية ويقيموا امبراطورية تمتد من

(٥٤) سيرجون باجوت غلوب : محاضرة فى «معهد الشرق الأوسط» واشنطن ، ٢٦ أكتوبر ١٩٦٧ .

المحيط الأطلسى إلى حدود الصين .

فى ذلك الوقت كانت أوربا تتطلع إلى الامبراطورية العربية كما يتطلع العرب اليوم إلى أوربا . فقد كانت الامبراطورية العربية هى المسيطرة بسفنها على البحار ولا يستطيع أى أوربى أن يسير فى البحر المتوسط حتى ولو على لوح خشبى إلا بإذن من العرب ! (٥٥)

ورغم الحركات الإنفصالية فإن العرب بقوا مدة مائتين وخمسين سنة قادة الفكر فى العالم منهم رواد العلم الحديث لأنهم هم الذين علمونا الأرقام التى نستعملها ونسميها بأسمائهم فكانوا واضعى أسس الرياضيات وكانوا لقرون طويلة قادة العالم فى الطب والكيمياء وعلم الحيوان وهم الذين نقلوا صناعة الورق من الصين إلى أوربا عن طريق الأندلس .. وقاسوا محيط الأرض قبل أن تصل أوربا إلى الإيمان بأن الأرض كروية بستمائة سنة !

وهكذا نرى أنه خلال أربعة آلاف وخمسمائة سنة من تاريخ الحضارات والامبراطوريات الإنسانية البالغ خمسة آلاف سنة كانت مصر وسوريا تقودان الحضارة الإنسانية ولم تتخليا عن هذا الدور إلا فى الخمسمائة سنة الأخيرة .

---

(٥٥) نفس المصدر السابق .

وهذه الحقيقة تدفعنا إلى أن نفتح عيوننا إلى أن جهلنا بالتاريخ الإنسانى جعلنا نظن خطأ أننا صفوة الجنس البشرى .

وقد ادرك نابليون بونابرت فى صراعه مع بريطانيا ذلك ولهذا لم يهاجمها فى أرضها بل قاد أسطوله إلى مصر والشرق العربى ولو نجح فى السيطرة على المنطقة لقضى على الامبراطورية البريطانية بقطعه لخطوط مواصلاتها إلى الهند ، ويروى «سيرهدسون لو» حاكم جزيرة هيلانه حيث كان الامبراطور أسيراً .. أن بونابرت قال له (إن الشئ الذى لا يمكن أن انساه هو أن مصر هى أكثر بلدان العالم أهمية لمن يريد أن يسيطر على العالم) .

ويسترد غلوب حديثه قائلاً«وقد يقول بعضكم «قد لا يكون ما تقوله عن العرب صحيحاً فنحن لم نسمع بمثل هذا الكلام من قبل وأنا اجيبكم بأننا فى الغرب قد فرضنا نوعاً من الرقابة على تاريخ العرب هو أبشع ما عرف من أنواع الرقابة لأننا عندما نكتب التاريخ لأبنائنا نحذف عامدين هذه الصفحات الباهرة منه لأن العرب كانوا الأمة الوحيدة فى العالم التى استطاعت أن تغزونا فى عقر ديارنا . وتفرض حصاراً علينا طيلة ٥٠٠٠ سنة . (٥٦)

---

(٥٦) بيرجر : محاضرة نوفمبر ١٩٦٧

سيطرة اليهود على السياسة الأمريكية

وهناك محاضرة ثانية هى محاضرة لبيرجر مؤسس المجلس الأمريكى اليهودى سنة ١٩٤٣ والتى القاها فى نوفمبر ١٩٦٧ - وبيرجر له مؤلفات عديدة أشهرها «المعضلة اليهودية» .

ويبدأ محاضرته بقوله «إنه لا شئ يثير الدهشة أكثر من موقف الولايات المتحدة الأمريكية من النزاع المطروح ثم يذكر تحذير وزير الدفاع الأمريكى «فوريستال» فى سنة ١٩٤٨ بأن سياسة أمريكا التى تتبعها فى الشرق الأوسط ستؤدى إلى القضاء على كل مصالحها فى المنطقة ثم يذكر قول فوريستال الشهير «إنه من المفجع أن يُسيِّر سياستنا الخارجية نفر من اليهود فى هذه البلاد لا لشئ سوى أنهم يدفعون معونات مالية للحزب .

ويذكر بيرجر أن شهادات ووثائق قدمت إلى لجنة الشئون الخارجية بلغ عدد صفحاتها أكثر من ثلاثمائة وكلها تثبت أن ملايين الدولارات التى تبرع بها الشعب الأمريكى لمساندة اليهود المحتاجين فى إسرائيل قد انفقت من أجل الدعاية لإسرائيل وهذه التبرعات دفعت من الضرائب لأنه قيل بأنها ستنفق على أعمال إنسانية خارج الولايات المتحدة ؛ (٥٧)

---

(٥٧) بيرجر : نفس المصدر السابق

ثم ينهى حديثه – هل الخداع والكذب من الأعمال الإنسانية؟

وهناك كتاب الهجرة العالمية فى العصور الحديثة لكاتبه هال ليرمان ونتناول هنا مقالاً واحداً من هذا الكتاب بعنوان «بوتقة الصهر الإسرائيلية» والكتاب فى مجموعه يعبر عن وجهة نظر ناقد عايش اليهود المهاجرين إلى فلسطين هو الكاتب «هال ليرمان» وشعر بمدى خيبة الأمل والضياع والتمزق الذى يعانى منه معظم المهاجرين إلى إسرائيل فالكاتب عايش بنفسه أعباء الهجرة اليهودية وما ترتب عليها من مشكلات اجتماعية وحضارية وثقافية معقدة خلقها التيار المفاجئ للعناصر الصهيونية التى تتدفق على أرض فلسطين من شتى بقاع العالم.

يبدأ المقال بإحصائية تبين أن أعداد اليهود سنة ١٨٨٢ فى فلسطين هو ٢٤ ألفاً فقط ثم أخذ يتزايد حتى وصل فى سنة ١٩٤٨ إلى ٦٥٠ ألف يهودى وبعد أن قامت إسرائيل أصدرت ما يسمى «بقانون العودة» الذى أعطى حق المعيشة فى إسرائيل لأى يهودى قادم من أى بقعة فى العالم ويشير إلى آخر إحصائية صدرت ويقول «لقد بلغ عدد سكان فلسطين المحتلة ٢ مليون و ٦٠٠ ألف يهودى» . (٥٨)

---

(٥٨) هال ليرمان : كتاب الهجرة العالمية فى العصور الحديثة

وجدير بالذكر أن اليهود المهاجرين القادمين من أوربا وأمريكا يتركزون إلى حد كبير فى فئات السن الكبيرة على حين أن اليهود القادمين من أفريقيا وآسيا معظمهم من فئات الأعمار الصغيرة .. وهذا له أثر كبير بالنسبة للمستقبل فى ازياد أهمية الأفريقيين والأسيويين من اليهود عن الأوربيين منهم . (٥٩)

ويشير الكاتب إلى هدف قادة إسرائيل من سياسة «الباب المفتوح للهجرة إلى إسرائيل «إلى استقطاب العناصر البشرية للاعتماد عليها فى الحرب ضد الدول العربية والحراسة ولإقامة المستعمرات الجديدة «الكيبوتز» والعمل فى المزارع والمصانع من أجل الإنماء الاقتصادى لإسرائيل ويبرز الكاتب المشكلات التى تواجه الكيبوتز أو المستوطنات التعاونية الريفية التى تعرضت أخيراً لهزات داخلية عنيفة وتضارب الأفكار السياسية بين الشرقية والغربية ، ويتنبأ الكاتب بأن هذه المستعمرات سوف تضمحل وتنكمش من جيل لآخر لتصبح فى النهاية عضواً فى الجسم الصهيونى المريض !

ويضيف ليرمان بأن المهاجرين إلى إسرائيل وفدوا إليها بدون أموال ثم يبدأون حياتهم من جديد وهذا يؤثر بدوره على الاقتصاد الإسرائيلى .

---

(٥٩) نفس المصدر السابق .

وهناك مشكلة أخرى هى الاضطراب والارتباك الذى سببه عدم اندماج وانصهار العناصر المهاجرة ، فهناك ما لا يقل عن إحدى وستين جنسية مختلفة وفدت إلى إسرائيل وهذا ما لا نراه فى أى دولة أخرى .. وهو ما يسميه بفاكهة الأجناس السيئة !

فهناك شعور بالغربة والتنافر وعدم الانسجام بين العناصر المهاجرة وبين المهاجرين اليهود الأوائل وهناك من ناحية أخرى اختلاف اليهود من حيث الانسجام فيهود أوربا الوسطى والشرقية الذين يسمون أنفسهم «بالاشكينازيم» وهى كلمة مأخوذة من اسم اشكيناز وهو أحد أحفاد نوح وثلاثة ارباع اليهود فى إسرائيل من هذا النوع . وهناك نوع أخر من اليهود يسمون انفسهم «سفارديم» وهم يهود البحر الأبيض واسبانيا والشرق الأوسط والمهاجرون الجدد فى نظر المهاجرين الأوائل يسيئون إلى المستوى الحضارى لأنهم يقبلون العمل بأجور منخفضة جداً وينظرون إلى المهاجر اليهودى على انه لاجئ اجنبى لم يأت كمتطوع فدائى بل لأنه سيق إلى إسرائيل مرغماً واقتطع مستسلماً من موطنه الأصلى .. ولذا فإن المجتمع الإسرائيلى يمثل فى حقيقة الأمر مجتمعاً غريباً مفككاً هو مجتمع المتناقضات والكثير من المهاجرين اليهود الذين كانوا فى معسكرات السخرة والموت التى نصبها النازيون لهم وهم وحشيون فى طباعهم غير قادرين على التآلف مع المجتمع الجديد

فهم ولقد اكتسبوا صفات فرضتها ظروف المعسكرات السابقة لهم ولهذا فهم على تعبير ليرمان «الكلاب التى تنهش بعضها بعضاً من أجل البقاء» !

التحالف بين الحركة الصهيونية والاستعمار

ولقد صدر هذا العام فى نيويورك كتاب الحركة الصهيونية فى السياسة العالمية للدكتور : هايمان لومر والكاتب هو من أنشط الكتاب الذين تناولوا بالتحليل جذور وطبيعة الصهيونية ولقد صدر له من قبل كتاب آخر بعنوان «الدور الرجعى للصهيونية» . (٦٠)

وفى كتابه الحركة الصهيونية يكشف تحالفها مع الاستعمار إلى جانب أنها حركة عالمية منظمة تبلورت لأول مرة فى المنظمة الصهيونية العالمية التى عقدت أول مؤتمر فى بال سنة ١٨٩٧ بجهود هيرتزل حيث أعلن هدف هذه الحركة السياسية وهو «أن غرض الصهيونية إيجاد وطن قومى لليهود فى أرض فلسطين» وعندما قامت الدولة بعد نصف قرن أدخل المؤتمر الثالث والعشرون تعديلاً على هذا الهدف فأعلن «أن مهمة الصهيونية هى تدعيم دولة إسرائيل وجمع شتات اليهود من المنفى للإقامة فى أرض إسرائيل وتقوية وحدة الشعب اليهودى ، وعلى هذا

(٦٠) أ.د. هايمان لومر : الحركة الصهيونية فى السياسة العالمية .

تعتبر إسرائيل موطناً لكل اليهود يجب أن يعود إليه اليهود المشتتون فى المنفى وعندما قامت إسرائيل استتبع ذلك أن اى يهودى فى العالم يستطيع أن يطلب حق موطنه فيها . (٦١)

وكان هذا الحق يمنح لمن يهاجرون إلى إسرائيل اما الآن فليس من الضرورى ان يهاجر اليهودى إلى إسرائيل فقد عدّل قانون الجنسية الإسرائيلية فى مايو ١٩٧١ بحيث يجيز لأى يهودى ان يعلن رغبته فى الإقامة فى إسرائيل .. وأن يصبح مواطناً دون حاجة إلى الهجرة وكان الدافع لذلك هو اجتذاب اليهود السوفيت .

وتعتبر الصهيونية اليهود غرباء فى الأرض التى يعيشون فيها وهى تسعى إلى إبعادهم عن النضال من أجل الديمقراطية والتقدم فى بلادهم باعتباره شيئاً لا اهمية له بالنسبة إليهم كيهود . إنها تسعى إلى إقامة جدار بين العمال اليهود وغير اليهود زاعمة أن الرابطة الحقيقية للعمال اليهود هى ربطهم باليهود الآخرين بما فيهم الراسماليين وهى ترفض الاشتراكية كرد على معاداة السامية باعتبارها شيئاً لا علاج له .. ليست أقل انتشاراً فى هذه الدول عنها فى الدول الراسمالية .

ويوضح «هايمانْ» فى كتابه الارتباط العنصرى بين الحركة

---

(٦١) المصدر السابق

الصهيونية وبين الاستعمار القديم والحديث وسعى الصهيونية دائماً لوضع نفسها فى خدمة أغراض الاستعمار وأن الصهيونيين بنوا آمالهم فى النجاح على مساندة وتأييد دولة أو أخرى من الدول الاستعمارية فكانوا يعرضون القيام بخدمة مصالح الاستعمار فى الشرق الأوسط ، وقد طلب هيرتزل مساندة حكام روسيا القيصرية وتركيا وألمانيا وعرض خدماته على الامبراطورية البريطانية وكذلك فرنسا ، بل إنه حاول أن يبيع فكرته إلى وزير داخلية روسيا «فون بليف» الذى كانت يداه لازالتا تقطران بالدم على إثر المذبحة التى ارتكبها فى كيشينيف .

ويركز الكاتب على الدور الذى يلعبه حكام إسرائيل باتباع سياسة توسعية عدوانية بالنسبة للدول العربية وتأييدهم للاستعمار الفرنسى فى الجزائر فى مقابل إمداد فرنسا إسرائيل بالسلاح ، وفى سنة ١٩٥٦ اشتركت مع بريطانيا وفرنسا فى غزو مصر وبررت للشعب الإسرائيلى غزوها لسيناء على أنه دفاع عن النفس .

ويميط اللثام عن حقيقة جهود «بن جوريون» منذ ١٩٥٧ – لاجتذاب الولايات المتحدة إلى الجانب الإسرائيلى وذلك باستغلال الحظر الشيوعى فى الشرق الأوسط من ناحية والصفقة التى عقدت مع «أديناور» لتقديم التعويضات والسلاح إلى إسرائيل من ناحية أخرى .

ويكشف جيمس فيرون مراسل «النيويورك تايمز» فى ١١ يونيو ١٩٦٦ طبيعة العلاقات بين إسرائيل وأمريكا بعد عقد صفقة طائرات سكاى هوك مع إسرائيل فى حديث أجراه مع بعض المسئولين الإسرائيليين.[٦٢]

ويكتشف الدكتور لومر عن السياسة التوسعية منذ ١٩٦٧ وإحباط زعماء إسرائيل باستمرار لكل الجهود والمساعى التى تبذل لإيجاد حلّ سلمى لمشكلة الشرق الأوسط برفضهم قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ٦٧ كأساس للتسوية رغم ادعائهم قبول هذا القرار ، ومحاولة تضليل زعماء إسرائيل للعالم بقبول هذا القرار عن طريق تصريحات لزعماء إسرائيل بضرورة الاحتفاظ بمناطق واسعة تحت اسم حدود «آمنة يمكن الدفاع عنها» .

ويكشف الكتاب النقاب عن سياسة إسرائيل فى القارة الأفريقية ودورها التخريبى والاستغلال لصالح الاستعمار متسترة تحت شعار أنها دولة نامية وصغيرة ، وأوضح الكاتب دور الاستثمارات الإسرائيلية فى الدول الأفريقية ومحاولة السيطرة على اقتصاديات هذه الدول ويكشف الدور الذى يقوم به المعهد الأفرو اسيوى للدراسات العمالية التعاونية فى تل أبيب

(٦٢) النيويورك تايمز : ١١ يونيو ١٩٦٦ جيمس فيرون ، طبيعة العلاقة بين إسرائيل وأمريكا .

لحساب وكالة المخابرات المركزية واتحاد العمل الأمريكى والمنح والمساعدات التى تقدم لهذا المعهد الذى يعد برنامجاً قصير الأجل لتدريب أكبر عدد من القادة الأفريقيين واشتراك الهستدروت الإسرائيلى «اتحاد عمال إسرائيل» عن طريق مؤسساته وشركاته فى التسلل الاقتصادى الإسرائيلى .

وينهى دكتور / لومر - كتابه بتأكيد - نهاية إسرائيل إذا استمرت هذه السياسة المعادية فسوف تطردهم هذه السياسة خارج دائرة المجتمع العالمى ويصبحون كائنات لا يقبلها إلا الرفض والاستنكار .. حتى من شعاع الشمس ومياه النهر .. وأوراق الأغصان ! (٦٣)

اليهود فى أمريكا

فى سنة ١٨٤١ أنشأ اليهود فى أمريكا أول معبد يهود استخدمت فيه لأول مرة آلة موسيقية هى آلة الأرغن لتصاحب المصلين أثناء تراتيلهم الدينية وفى الصلاة الأولى التى أقيمت فى هذا المعبد وقف الدكتور «جوستانوف زوينسكى» يقول إن هذا الكنيس هو معبدنا وهذه المدينة هى أورشليما وهذه الأرض الطيبة هى أرض ميعادنا !

وحتى سنة ١٨٨٠ لم يكن عدد اليهود فى أمريكا يتجاوز

(٦٣) د. لومر : المصدر السابق .

ربع مليون نسمة جاء معظمهم من أسبانيا وأوربا والبرتغال وسرعان ما ازداد تأثيرهم داخل الحياة الأمريكية ولقد امتد اخطبوط السيطرة الصهيونية وتشعّب ليحكم قبضته فى عنف على عنق الحياة الأمريكية ، ولقد فرض الصهيونيون سيطرتهم على أجهزة الإعلام والثقافة ووكالات الأخبار والصحافة والإذاعة والتليفزيون والمسرح والكتب والسينما ودور النشر بل امتدت إلى كافة مجالات الفكر ولم يعد المواطن الأمريكى يرى الأشياء إلا من خلال منظار صهيونى !

وعلى هدى من بروتوكولات حكماء صهيون البرتوكول الثانى عشر بدأت المسيرة الصهيونية يجب أن تشتت انتباه الناس .. يجب أن نطلع عليهم كل يوم برأى جديد مثير .. يجب أن يعتاد الناس على الشئ الجديد وبذلك لا يكون عندهم متسع من الوقت للتفكير والتأمل وإنما يتوقعون باستمرار الطعام الجديد ، ومعنى ذلك أن الناس سوف يتركون لنا وحدنا أن نفكر وندبر وهم لا يعرفون ما الذى ندبره . إننا لا نقنع بما هو أقل من القضاء عليهم .. هذه هى إرادة الله !

وظهرت بعد ذلك رواية اسمها «هوزيج» للروائى اليهودى الأمريكى «سول بيلو» ولقد حصلت هذه الرواية على جائزة الكتاب القومى الأمريكى هذه الرواية تمثل نوعاً من السخرية وبحثاً فى أغوار النفس الإسرائيلية وبكاء سكان المدن اليهودية

الذين يشعرون بألا انتمائية ، وبعدها ظهر فى نفس الخط الأدب وعلى نفس الوتيرة قصتان لكاتبين يهوديين فى أمريكا هما «دالاى ماركفليد» فى قصته (نحو موت مبكر) أما الرواية الثانية فهى «قبلات الأم» «لجاى فريد مان» .

قائمة طويلة لا تنتهى .. عديد من الكتاب اليهود فى أمريكا على رأسهم «سول بيلو» «وبرنارد مالامود» «وفيليب روث» «وجوزيف هيلرو» «الفريد كازين «والفريد شنستر» «وسوزان سونتاج» «وهريرت جوالد» «وجريس بيلى» وغيرهم لقد تحول المكان الذى تتردد فيه حوادث الرواية اليهودية الأمريكية من الحارات والأزقة ومن بعدها هوليود إلى الجامعات وسط الحضارة.

وأول رواية ظهرت فى أمريكا لكاتب يهودى اسمها الجيتو (حارة اليهود) لإبراهام كاهان نشرت سنة ١٩١٧ ، وأحداث القصة لم تبارح اليهود على حين نرى أن هوزريج وجابريل دالاس بطل رواية «التنازل» للكاتب فيليب روث كانا يعيشان داخل الحرم الجامعى . (٦٤)

حتى آخر بطل للكاتب الشهير «نورمان ميلر» واسمه ستيف روجاك بطل روايته (الحلم الأمريكى) كان رجلاً ذا سجل

---

(٦٤) ابراهام كاهان : حارة اليهود من منشورات بيروت ، ١٩٦٢ .

أكاديمى وتدور أحداث القصة فى المدن والجامعات والمعاهد الأكاديمية .

ليست القصة فقط بل فى المسرح نجد كتاباًيهوداً مثل الكاتب اليهودى الأمريكى الشهير «آرثر ميللر» كذلك رفاقه كتاب المسرح اليهودى . «موارى شيزجال» .. «جاك جلير» «وبارى شايفزكى» .

معنى هذا كله فى كلمات صريحة أن اليهود ظاهرون بصورة لافتة للنظر على المسرح الروائى والأدبى للمجتمع الأمريكى .

حتى إن اغترابهم الذى يفخرون به كثيراً أصبح بمثابة جواز سفر يدخلون به إلى قلب الثقافة الأمريكية .

فجأة .. حدث تغير فى الجو الثقافى الأمريكى بعد ١٩٦٧ .

إن الصبى اليهودى فى الماضى (كان يعامل بالضرب والركل المشرب بالغيظ) كان يضرب وهو فى طريقه إلى المدرسة فى شيكاغو أو «يأخذ علقة من زملائه» . لماذا ؟ لأنه قاتل المسيح .

ولكن الوضع تغير الآن لقد راحت المنح تنهال عليهم من مؤسسة «فولبرايت» ومؤسسة «فورد» وتنهال عليهم العروض السينمائية ودور النشر والكتب وعروض عمل من مؤسسة «جوجنهمام» .

وسائل الإعلام فى قبضة اليهود

صحف ومجلات تفتح أبوابها على مصراعيها للكتاب اليهود فى أمريكا .

كومنترى وباريتسام ريفيو ونيويورك ريفيو .. المهم أن الكتاب اليهود يهللون ويصفقون لكتب ومسرحيات روايات بعضهم البعض رؤساء تحرير يهود مثل الكاتب والناقد «نورمان بودهورتين» رئيس تحرير المجلة الشهرية الشهيرة (كونترى) .

حدث فى سنة ١٩٤٦ أن وجهت صحيفة النيويورك تايمز إلى قرائها العبارة التالية «ننقل إليكم الأخبار دون تحيز أو خوف بعيدين عن سيطرة أى حزب أو طائفة أو مصلحة عامة» .

ولم تكد تظهر هذه العبارة حتى قرر اليهود مقاطعة الصحيفة حتى اضطرت فى النهاية إلى أن تذعن خاضعة للصهيونية . ومن الغريب والمضحك فى نفس الوقت أن صحيفة النيويورك هيرالد تريبون يهودية منافسة للنيويورك تايمز الديمقراطية انتهزت الوضع الحرج الذى تمر به منافستها فراحت تعلن تأييدها للصهيونية لكى تكسب قراء النيويورك تايمز البالغ عددهم حوالى مليونى قارئ !

وفى خلال السنوات الأخيرة أصبحت أمريكا يهودية يوماً

بعد يوم ، فلقد ظهر فى الفترة الأخيرة فى مجلة تايم إعلان يظهر فيه هندى أحمر ياكل عيشاً من الشعير (وهو خبز يهودى) وتحت الصورة كتب : تستطيع أن تتمتع بهذا الخبز من غير أن تكون يهودياً !

نبيذ (موجن دافيد) إعلان تجارى .. اشرب هذا النبيذ . إنه النبيذ المفضل فى بلدتى ميسولا ومونتانا ، وترتفع الحواجب بعلامات الدهشة إذا عرفنا أن البلدتين لا يسكنهما إلا ١٢ أسرة يهودية فقط ! دعاية نفسية غير مباشرة .. إنه طلاء أكثر بريقاً لنفس البنيان القديم .. إنهم يغيرون دائماً استراتيجية السيطرة النفسية .

واليهود قاموا بدراسة الحركة المسرحية والسينمائية فى الولايات المتحدة وهى ظاهرة واضحة فى مسار - برودواى وتكاد تكون صناعة السينما فى هوليود احتكاراً يهودياً .. إن أكبر الشركات السينمائية يهودية . شركة لويس عملاق الصناعة والمؤسس هو «ماركس لوى» اليهودى ورئيسها «نيقولاس شنك» وهو يهودى نشأ فى الحى اليهودى الروسى وتمتلك شركة لويس شركة مترو جولدوين ماير ورئيسها أمير هوليود بلا منازع لويس ما يوفهو السفير المفوض لجميع شركات السينما ، وإذا نزل بهوليود ملك أو أمير أو رجل دبلوماسى كان «ماير» هو

الذى يستقبله ويحتفى به ويقدم إليه لانانيرنر أو ريتا هيوارث ثم هو أول أمير من أمراء السينما نزل ضيفاً على البيت الأبيض وقد كان صديقاً حميماً للمستر هربت هوفر ، فلما تولى هوفر الرياسة عرض عليه أن يعينه سفير أمريكا فى تركيا ولكنه رفض نظراً لأعبائه الفنية .

وماير كان دائماً مكتشف النجوم فلقد رأى سنة ١٩٢٠ ممثلة شقراء تعمل باستوديو بمدينة برلين وكانت أقرب إلى اللاعبة الرياضية منها إلى الممثلة الرشيقة فقال لمساعده : إن هذه الفتاة ذات موهبة فنية فرد عليه مساعده بسخرية وهذه الموهبة هى عضلاتها فهى أشبه ببطل مصارعة ! ولكن (ماير) أصر على رأيه وعقد معها اتفاقاً وطلب منها أن تتبع نظاماً دقيقاً فى أكلها وعلمها الإنجليزية ثم جعلها تمثل فى فيلم «الشيطان والجسد» وسرعان ما وافقه الناس بعد ذلك على أن «جريتا جاربو» ذات موهبة فنية !

الرئيس الآن لشركة مترو جولدوين ماير هو «دور سكارى» اليهودى ، وهو معروف بميوله الصهيونية وشركة بارامونت وهى الشركة الثانية فى إنتاج الفيلم فى هوليود ورئيسها اليهودى «بارناى بالابان» ويمتلك بارامونت شركة الإذاعة الأمريكية شركة إخوان وارنر السينمائية وهى الشركة الثالثة من حيث الضخامة «ورئيسها هارى وارنر» وهو بولندى يهودى

وأربعة أخوة هم سازيل وهارى والبرت وجاك .

شركة فوكس للقرن العشرين ورئيسها يهودى «نات بلمبرج» شركة أفلام كولومبيا وترتيبها السابعة فى هوليود ورئيسها اليهودى «هارى كوهين» من نيويورك . (٦٥)

وكثيراً ما نرى فى هوليود بنتاً شقراء مسيحية تشق طريقها إلى الشهرة بزواجها أو ذهابها إلى ثرى يهودى ذى انف مقوسة !

هناك قائمة لا تنتهى من نجوم هوليود المتزوجات من يهود. درويس داى متزوجة من فلشر وليلى بالمر متزوجة من بسر وجانيت ليتج متزوجة شوارتز وكلورت كدلبرت متزوجة برسمان .. وقصص اعتناق اليهودية محفوفة بالدعاية الضخمة مثلما حدث بالنسبة لكبار الممثلين والممثلات والمطربين أمثال مارلين مونرو واليزابث تايلور والمطرب الأمريكى الزنجى سامى ديفيز .

عشرت الأفلام الصهيونية «سليمان وملكة سبأ» و «الوصايا العشر» و «الإنجيل» و «بن هور» و «يوميات آن فرانك» الذى نالت عليه الممثلة «شيلى ونترز» جائزة الأوسكار .

وعملت الدعاية الصهيونية فى امريكا على تصوير حرب

---

(٦٥) السينما اليهودية فى هوليود .

١٩٤٨ بصورة ملفوفة بالدعاية للصهيونية فى فيلم «الخروج» والفيلم يعرض حادثة وقعت للباخرة اليهودية «اكسورس» التى كانت تنقل عدداً من المهاجرين اليهود غير الشرعيين إلى فلسطين فاعترضتها فى عرض البحر قوة بريطانية مسلحة مما أدى إلى وقوع صدام بين الفريقين كانت نتيجته معركة استمرت ثلاث ساعات كاملة قتل خلالها ثلاثة أشخاص وجرح ٢١٧ آخرون، وقامت القوات البريطانية بترحيل الباقين إلى جزيرة قبرص تمهيداً لإعادتهم مرة أخرى إلى مواطنهم الأصلية ، ولم تشأ الدعاية الصهيونية أن تمر هذه الحادثة دون أن تستفيد منها لأقصى الدرجات فصورتها فى فيلم سينمائى كتبه «ليون بوريس» بعرض آخر مخالفاً للحقيقة ويغلب عليه طابع من الافتعال ووزعت الدعاية الصهيونية منه أربعة ملايين نسخة ، ولم تترك داراً من دور السينما الأمريكية إلا وعرضته فيها .. وكان التأثير الذى تركه الفيلم على نفوس المشاهدين الأمريكيين عميقاً لدرجة ان كثيراً من المشاهدين كانوا يخرجون من السينما فى مظاهرات صاخبة تتجه إلى القنصليات والمنشآت البريطانية فى نيويورك وتقذفها بالحجارة ! والممثلة اليهودية بربارا استريز تقول فى فيلم (فتاة مرحة) التى تقاسمت البطولة فيه مع عمر الشريف : لى الشرف أننى يهودية ! حتى أكثر المسرحيات الموسيقية شهرة مسرحية (مزمار على السطح) للكاتب اليهودى

(اليشيم) وحتى البطل الذى قام بالدور يهودى اسمه مؤسيل ومن أغرب وأطرف النغمات التى عزفت عليها الصهيونية فى أمريكا كتاب تحليلى .. كان من أكثر الكتب غير الروائية توزيعاً .. الكتاب اسمه «كيف تكوني أماً يهودية» .

الكتاب يبعد الشبهات عن الأم اليهودية ، ويؤكد فى صفحاته أن الأم اليهودية حارسة الجسد ورسول النسل والأم الرؤوم للإنسانية جمعاء !

ولقد أتاح لهم نفوذهم على دور الطباعة أن يتحكموا فى نوعية ما ينشر من مؤلفات داخل أمريكا فقد حدث أثناء الحرب العالمية الثانية أن قلّ عدد النسخ المطبوعة من مسرحية «تاجر البندقية» لشكسبير التى تصور التاجر اليهودى (شيلوك) الذى يريد أن يقطع رطلاً من لحم الشاب الإيطالى أنطونيو لأنه تأخر فى دفع ما عليه لشيلوك إذ شكى طلبة وأساتذة الأدب الكلاسيكى فى الجامعات الأمريكية من أن المسرحية ناقصة من المكتبات ، ولكن الحقيقة تكشفت بعد ذلك وتبين أن مصدر الأزمة راجع إلى ان اليهود من أصحاب المطابع قد استطاعوا إقناع المسئولين فى الحكومة بإذابة لوحات النحاس «الكليشهات» الخاصة بالكتب التى لا داعى إلى طباعتها فى الوقت الحاضر وكانت مسرحية تاجر البندقية من بينها لتوفير مادة النحاس للأغرض الحربية !

ويومها علق الأستاذ أندرسون أحد أساتذة الأدب الإنجليزى فى الجامعات الأمريكية على هذه الحجة الساذجة بقوله «إن كل النحاس الذى أذيب فى الولايات المتحدة لا يكفى لذخيرة معركة واحدة» !

الطريــق إلى إســرائيل

يقول (بانكى كندش) ابن الرئيس السابق لمجلس إدارة شركة جنرال موتورز للسيارات واليهودى الأصل إن أعظم هدية تلقاها فى حياته كانت من والده فى عيد ميلاده الرابع عشر وقال له والده يومذاك «هديتى لك يا بنى سيارة جديدة .. وتستطيع أن تأتى لاستلامها الآن من الشركة» .

وذهب (بانكى) ولم يجد السيارة ولكنه وجد أكثر من ألف قطعة وقطعة موضوعة فى صندوق كبير وقال له أبوه :

إننا نحن اليهود مشردون فى العالم .. ألف قطعة وقطعة متناثرة فى كل الأرض وفلسطين هى الوطن . هذه هى أجزاء سيارتك وستصبح ملكك إذا استطعت تركيبها» !

وقضى بانكى أربعة أشهر كاملة فى تركيب أجزاء سيارته ، ثم أمضى حياته كلها بعد ذلك فى صناعة السيارات ومساعدة اليهود المشردين على أن يركبوا سيارة كبيرة وسريعة تحملهم

إلى إسرائيل !

وأصبح المدير الفنى لشركة جنرال موتورز من بعد أبيه !

وكان أطباء الإجهاض فى أمريكا من اليهود ، والطبيب الذى اعدّ تركيب عقار الهلوسة استاذ جامعى يهودى يقيم مستعمرات للدعارة ويرفع شعار «من قال إن أمك وأختك وابنتك حرام عليك» !

وتستخدم الصهيونية كل الأساليب الممكنة داخل أمريكا سواء اكانت القوة والخشونة وسواء كانت النعومة والعلاقات الشخصية وشعارهم فى ذلك لولا الخشونة ما مشت قدم على أرض ولولا النعومة ما دار كوكب حول الشمس ! من الدعاية الشخصية للأدباء اليهود فى أمريكا ما حدث سنة ١٩٦٩ حين رشح الكاتب الأمريكى اليهودى الشهير (نورمان ميللر) نفسه عمدة لمدينة نيويورك وميللر ليس بالعقل التنظيمى ولا بالسياسى المحنك ولكنها دعاية أدبية للأدباء اليهود .

(هوليود) مدينة السينما هكذا عرفت بهذا الاسم فى العالم ولكنك حينما تسأل اى يهودى فى أمريكا عن مدينة هوليود .. يغضب ويحمر وجهه ويقول لك ليست اسمها هوليود يا سيدى ولكن اسمها وادى كشير !

و (كشير) طعام محلل لليهود ! .. لدرجة تهويد أسماء المدن

الأمريكية ! ، من المعروف تاريخياً وحضارياً أن «كريستوفر كولمبس» قد اكتشف أمريكا سنة ١٤٩٢ ولكن اليهود الأمريكان خرجوا بتقليعة جديدة منذ عشر سنين تقول . إن (كال) اليهودى هو مكتشف أمريكا ! . وكال هو أحد بحارة كريستوفر كولمبس .. وعندما ظهرت قارة أمريكا أشار عليها وكانت يده أطول من يد كريستوفر كولمبس !

ولذا يعد كال اليهودى هو مكتشف أمريكا !

«الفريد ليلنتال» يهودى أمريكى كان طالباً فى جامعة كورنل ثم فى مدرسة الحقوق بكولمبيا وكان له نشاط مرموق فى عالم السياسة وقد زار فلسطين ملتحقاً بالقوات الأمريكية فى الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الأخيرة وعمل فى وزارة الخارجية أثناء الحرب ثم استقال ليشتغل بالمحاماة ويعد من أشهر الكتاب اليهود فى العالم الذين لهم دور إيجابى ونظرة موضوعية لموقف الصهيونية والإمبريالية منا نحن العرب .

ولقد بعث برسالة إلى أمه سنة ١٩٥٣ – يقول : «لا أدين بالولاء لعلم إسرائيل» وكانت لهذه الرسالة صدى كبير فى الأوساط الأدبية فى أمريكا وكان نص هذه الرسالة : (٦٦)

كنت فى طفولتى وصباى أفضى إليك بالأسى .. وشجونى

---

(٦٦) الفريد لينتال : رسائل خاصة وعامة ، جامعة كورنل ، ١٩٥٤ .

وإن كانت يسيرة هينة ، وها أنذا اليوم ابنك بنفس الروح الذى كان يعتمل فى صدرى حينذاك .

فمنذ مدة من الزمن قام علم أبيض على بقعة من الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط تبعد عدة آلاف من الأميال عن الولايات المتحدة ذلك هو علم إسرائيل رمز دولة جديدة لها حكومتها وجيشها وسياستها الخارجية ولغتها وتشيدها الوطنى ويمينها الخاص بالولاء لكيانها .

ولقد وضع هذا العلم كل واحد منا نحن الملايين الخمسة من المواطنين الأمريكيين الذين يعتنقون الديانة اليهودية القديمة فى مفترق الطرق .

وكنت أعلم أن اليهودية عقيدة دينية لم تعرف لنفسها حدوداً وانه يمكن لأى مواطن صالح فى أى بلد أن يعتنقها .

وعلى العكس من ذلك كانت الصهيونية وما زالت حركة قومية تهدف إلى جمع شتات اليهود فى أمة واحدة ووطن مستقل والآن وقد أنشئت هذه الدولة دولة إسرائيل - فما هو وضعى بالنسبة إليها ؟ هل مازلت امريكياً يدين بالديانة| اليهودية فحسب ؟ أو هل أعتبر نفسى - كما يدعى الصهيونيون وخصوم السامية على السواء - خارجاً على تلك القبيلة الشرقية التى تدين بالولاء للصهيونية ؟

والدتى : سأتحدث إليك أولاً عن شعورى نحو دولة إسرائيل الجديدة عندما رفع علم هذه الدولة فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ - لم أشعر برغبة فى الرقص فى الشوارع بفرحة جنونية كما فعل كثيرون غيرىفى نيويورك ولندن .. وذلك لأننى ولدت أمريكياً ومازلت امريكياً .. لا تربطنى بإسرائيل أى صلة ولا أحس نحوها بأى حنين أو مسئولية كما أعتقد أن سعادة اليهود فى أمريكا مستقبلاً تتوقف على اندماجهم التام كمواطنين فى هذه البلاد . (٦٧)

إن بلدى الوحيد ووطنى الأوحد هو أمريكا ولا ريب أننى فخور بإيمانى بالعقيدة اليهودية القديمة القائلة «بوجود إله واحد فى السماء وإنسانية واحدة على الأرض» ولكن هذا الإيمان لن يجرنى إلى الشعور بالقرابة القبلية الضيقة مثل غيرى ممن يعبدون الله على هذا النحو وإنى لأحس بالغضب والإهانة حينما اعلم أن بعض الأمريكيين ينشدون نشيد إسرائيل القومى او حينما أرى جماعات من الشبيبة الأمريكية ترفع العلم الإسرائيلى إلى جانب العلم الأمريكى نعم إنى أحس ذلك الإحساس الأليم لأن علم إسرائيل ونشيدها القومى ما هما إلا شعار لدولة أجنبية فكلاهما ليس شعارى .

---

(٦٧) الفريد لينتال : المصدر السابق .

ويقينى أن أمضى سلاح تستخدمه الصهيونية فى التأثير على الأمريكيين اليهود هو ما تتظاهر به من نزعة إنسانية فهى تقول : إن إسرائيل قد أنشئت لتكون أولاً ملاذاً وموئلاً للمضطهدين والمشردين .

والحقيقة يا والدتى أن إسرائيل لم تنشأ لهذا الغرض .. فإن المادة الثالثة من دستورها تنص على «أنها الموطن القومى للشعب اليهودى» أى موطنك أنت وموطنى أنا وإنى لأذكر أن «حاييم وازيمان» أول رئيس لدولة إسرئيل كان قد صرح فى سنة ١٩١٧ – بقوله «إننا لم نؤسس الحركة الصهيونية من أجل اليهود المضطهدين فى روسيا أو أى بلد آخر .. وما كانت حالتهم قط الباعث الأول على قيام هذه الحركة» .

وأذكر أيضاً أن الحاخام «أبا سيلفر» رئيس الصهيونيين الأمريكيين صرح قائلاً «يجب أن نتمسك بأن الصهيونية ليست حركة للهجرة وإعداد المأوى الأمين لليهود وإنما هى حركة ترمى إلى بعث الدولة اليهودية للشعب اليهودى فى أرض إسرائيل .

ثم ما هو موقف إسرائيل من يهود البلاد الأخرى .. ؟ تؤكد الصهيونية أن جنسيتنا هى «اليهودية» أيا كان البلد الذى ولدنا فيه .. وتؤكد أيضاً أننا نعيش فى «المنفى» ما دمنا نقيم فى بلد آخر غير إسرائيل فما هى المشروعات التى أعدتها الصهيونية

من أجلنا ..؟

لقد ألقى بن جوريون – رئيس وزراء إسرائيل السابق – أول خطاب له بعد الانتخابات الإسرائيلة أشار فيه إلى هذه المسألة فقال «يجب علينا أن ننقذ بقايا شعب إسرائيل الذين يعيشون فى المنفى ويجب أن ننقذ أيضاً أملاكهم وأموالهم ، ولن نتمكن من بناء دولة إسرائيل حقاً ما لم تنهض بهاتين المهمتين وننميهما» .

ومن ثم يتضح أن الدعاية الصهيونية الواسعة النطاق تبذل قصارى جهودها لتوثيق مدى الروابط بين إسرائيل وجميع اليهود فى شتى أنحاء العالم ويتضح أيضاً أن إرسال الأموال إلى إسرائيل ما هو إلا جزء صغير من التزاماتنا المزعومة . غير أنه ليس أوضح من التصريح الذى أفضى به الدكتور «مارجو شين» عضو مجلس إدارة القسم الأمريكى فى الوكالة اليهودية عن الأهداف الجوهرية للحركة الصهيونية إذ قال : «إن هذه الحركة ترمى إلى سيطرة الصهيونيين على اليهود فى جميع أنحاء العالم» .

ودعينى أذكر أيضاً يا أماه أن «دانيال تريش» رئيس الجمعية الصهيونية الأمريكية أعرب عن اعتقاده بأن اليهود الأمريكيين سيعمدون إلى تحقيق هذه السيادة بواسطة المدارس

والمعسكرات الصيفية .

وقال إننا يجب علينا أن نهتدى إلى ما يجعلنا قادرين على إرسال الشبان المهذبين إلى إسرائيل الناشئة لعيشيوا تحت سمائها المشرقة ويجب أن يكون معلوماً أن مهمتنا لم تنته ببعث دولة إسرائيل فإننا مازلنا فى بداية الطريق ..

هذا ما يقوله دعاة الصهيونية الضالون المتحمسون فهل نسوا موجة الاستنكار التى انتشرت فى أمريكا حينما وجه البرلمان الألمانى قبل الحرب نداء إلى الأمريكيين الذين ينحدرون من سلالة ألمانية قال لهم فيه «إنهم يجب عليهم أن يدينوا بالولاء لألمانيا .. وكذلك حينما أنشئت معسكرات للشبيبة ترمى إلى نشر الثقافة والتعاليم الألمانية فى أمريكا .. ؟

ولقد سمعنا الصهيونيين يفاخرون بقوة السياسة اليهودية وسطوتها وعلمنا أنهم يهددون التنظيمات البريطانية ورأيناهم يتظاهرون ضد «أرنست بيفن» وزير خارجية بريطانيا الأسبق حينما جاء إلى الولايات المتحدة ليوقع ميثاق الأطلنطى وشاهدنا لافتات على بعض متاجر نيويورك تحث الناس على مقاطعة البضائع البريطانية .

فهل هؤلاء الصهيونيون يتصرفون كما يجب أن يتصرف المواطن الأمريكى .. ؟

إن الواقع الملموس هو أن اليهود ليسوا أمة أو جيشاً وأنه يجب علينا ألا ندع الصهيونيين يقنعوننا بأننا كذلك .. فإن الدليل على عكس حجتهم قائم فى فلسطين نفسها .. وواضح بالنسبة لنا .

إننى ابعث إليك يا أماه بهذه الرسالة من فلسطين حيث اقضى إجازة منحتنى إياها الجيش وقد شهدت ذات مساء مسرحية فى مسرح بمدينة القدس فسمعت فى ردهات المسرح ودهاليزه لهجات عبرية عديدة من يهود قدموا من بولندا .

المخطط الصهيونى لإخضاع ألمانيا

الزمــــان : ١٤ مارس سنة ١٩٦٠

المكـــان : فندق والدروف استوريا فى نيويورك

الأشخاص : مؤسسا العلاقات الإسرائيلية الألمانية «دافيد بن جوريون» رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت وكونراد اديناور مستشار ألمانية الغربية.

الزمــــان : يوليو سنة ١٩٧١

المكـــان : تـل أبيب

الأشخاص : والترشيل وزير خارجية ألمانيا الغربية ووزير الدفاع الإسرائيلي موشى ديان .

وكان الهدف من الفصل الأول فى العلاقات الإسرائيلية الألمانية هو الاتفاق على صفقة السلاح التى قام يبحث تفاصيلها من قبل جوزيف شترواس وزير الدفاع الألمانى وشمعون بيريز نائب وزير الدفاع الإسرائيلي واقترح دافيد بن جوريون فى ذلك الوقت على ألمانيا أن تمنح إسرائيل قرضاً سنوياً أو تقوم بتنفيذ مشروعات النقب .. وقد نشأت بالفعل وقامت دبلوماسية بين ألمانيا وإسرائيل فى ٧ مارس ١٩٥٦ .

إن إقامة علاقات دبلوماسية بين ألمانيا الغربية وإسرائيل ليس بالأمر السهل ، ولكن تزايد النشاط الإعلامى الصهيونى

لألمانيا الغربية أصبح قوة ضاغطة على السياسة .

وقد اعترف اديناور (٦٨) مستشار المانيا الغربية بأن هناك قوة ضغط للصهيونية العالمية حيث قال : «إن العلاقات بين المانيا واليهود قامت على أساس أن اليهود قوة ضخمة فى العالم وبصورة خاصة فى الولايات المتحدة» ..

لم يكن قيام علاقات بين إسرائيل والمانيا الغربية أمراً سهلاً.. فالكراهية لكل ما هو المانى جعلت المسئولين فى الحركة الصهيونية وإسرائيل يلتزمون الحذر مع السرعة !! (٦٩)

والحذر والسرعة لا يجتمعان .. فإن الحذر يتطلب التريث والوقت الفسيح لوضوح الرؤية قبل الإقدام على الخطوة الثانية .. وفى براعة بهلوان السيرك الذى يمشى بحذر على خط رفيع جداً وبأقصى سرعة ممكنة بدأت إسرائيل مخططها الإعلامى فقد اصدر المؤتمر اليهودى العالمى بياناً طالب فيه «باعتبار الشعب الألمانى بأسره مسئولاً عن جرائم النازية» .

وتلى ذلك فى نوفمبر سنة ١٩٥١ - أن اتفقت المنظمات اليهودية على تشكيل هيئة سميت «مؤتمر المطالب اليهودية المادية من المانيا» - وبعدها بسنة وقع المستشار اديناور مع وزير

---

(٦٨) اديناور : مذكرات السياسة

(٦٩) اديناور : المصدر السابق

خارجية إسرائيل فى موجة من الاستياء عمت الوطن العربى بأسره اتفاقية «تعويض نفقات الإسكان والتشغيل» والتى عرفت باتفاقية لكسمبرج ... لقد نصت هذه الاتفاقية على تقديم ٨٤٦ مليون دولار كتعويضات لإسرائيل واليهودية العالمية هذا فضلاً عن التعويضات المادية .. وإن كانت هذه التعويضات قد انتهت بالفعل فى سنة ١٩٥٦ – إلا أن التعويضات الشخصية بلغت سنة (١٩٧٠) • (١٧١٤ مليون دولار) وبافتراض دوام هذه التعويضات فإنها ستبلغ سنة (١٩٧٥ – ٢٨٠٠ مليون دولار) فضلاً عما تحصل عليه اليهودية العالمية من مبالغ كبيرة تصل إلى إسرائيل .

إن التطويق الإعلامى الصهيونى للرأى العام فى ألمانيا يستهدف دفع بون لبذل المزيد باستمرار لشراء «صحيفة الغفران» .

أما الفصل الثانى : من مسرحية العلاقات الإسرائيلية الألمانية فيبدأ بوصول فلتر شيل وزير خارجية ألمانية الغربية إلى إسرائيل ، وقد جاءت هذه الزيارة فى فترة دقيقة لعلاقات إسرائيل بدول أوربا الغربية .. فى ضوء تبنى دول السوق المشتركة لقرار يؤيد الانسحاب الإسرائيلى الكامل من الأراضى العربية المحتلة منذ يونيو ١٩٦٧ – وفى وقت كانت إسرائيل فى أشد الحاجة إلى الدعم المادى والدعم المعنوى .

عقدة الذنب لدى الألمان

لقد خلق الإعلام اليهودى والإعلام الأدبى الذى تمثل فى كتابات يهود المان مثل «ميكائيل حاييم» وغيره .. وكذلك وسائل الإرهاب الإسرائيلى ضد المانيا الغربية «عقدة الذنب» التى خلقتها إسرائيل فى وجدان الشعب الألمانى .. فكثيراً ما كانت وكالات الأنباء تنقل صوراً لمظاهرات تجتاح ميونخ وبون عقب عدوان إسرائيل على الدول العربية سنة ١٩٦٧ . والمتظاهرون يحملون لافتات بالألمانية يطالبون فيها «بحق الشعب اليهودى فى البقاء حياً» . !!

إن العلاقات بين المانيا واليهود قامت على أساس أن اليهود يشكلون قوة ضخمة فى الولايات المتحدة الأمريكية ومعنى هذا أن اديناور نفذ تعليمات أمريكا التى أملتها الصهيونية العالمية .

وهناك تعويضات دفعتها شركة «كروب سمنز» بعد أن نجحت المنظمات الصهيونية واليهودية فى الضغط على هذه الشركات لدفع تعويضات لليهود .

ولقد حاولت إسرائيل والمانيا الغربية تكتم مظاهر هذا التعاون وإخفاء حقيقة هذه المساعدات تحت المائدة . !!

إلا أن حقيقة هذه المساعدات اعترفت بها المصادر الألمانية نفسها ونشرت صحيفة دير شبيجل الألمانية الغربية فى !! ابريل

سنة ١٩٥٦ - فى عناوينها الرئيسية «إن إسرائيل تلقت بالفعل وبصفة سريعة فى الفترة من سنة ١٩٦٣ حتى ١٩٦٥ مبلغ ٤٧٥ مليون مارك على ثلاث دفعات وبدون اتفاق معقود وموقع من الجانبين .. إن هذه الأموال التى دفعتها ألمانيا الغربية إلى إسرائيل انفقت على بناء الأسطول التجارى لإسرائيل وعمليات بناء الموانى الإسرائيلية بما فيها ميناء «إيلات» وبناء شبكة الخطوط الجديدة وبناء شركة أخرى للمواصلات السلكية واللاسكلية .

كما أن هناك ألمان يعملون فى معاهد ومؤسسات البحث العلمى فى إسرائيل وخاصة فى معهد «وايزمان» لإجراء البحوث الكيماوية والبيولوجية وكذلك فى الأبحاث الذرية .

ولقد بارك الضغط الأمريكى هذه المساعدات العلمية فى خطاب أرسله المستشار العلمى للرئيس الأمريكى إلى الأستاذ «كوهين» أحد أساتذة معهد وايزمان .. ونشرت صحيفة «كول هاعام» الإسرائيلية تقول : إن العلماء الألمان الذين يصلون إلى إسرائيل لا يزورون إسرائيل للمرة الأولى ولقد اثير هذا الموضوع فى الكنيست الإسرائيلى كما اثير دور الخبراء الألمان الذين يعملون فى المفاعل الذرى لإسرائيل فى ديمونا » . (٧٠)

---

(٧٠) دير سبيجل الألمانية الغربية ، ١١ أبريل ١٩٥٩ .

ويتقدم معهد وايزمان بحوالى ١٩ مشروعاً علمياً لمعهد ماكس بلانك الألمانى ولمؤسسة فولكس فاجن الألمانية لتمويل بعض بحوثها وساهمت ألمانيا الغربية فى بناء وتجهيز المعاهد العلمية الإسرائيلية ومن ذلك معهد «أولمان» الإسرائيلى الذى انشئ سنة ١٩٦٣ .

ومن بين أعضاء جمعية أصدقاء الجامعة العبرية فى بون «فرانزلينز» وزير البحث العلمى الألمانى السابق والبروفيسور «جنتر» والبروفيسور «هانزجنن» الأستاذ بجامعة هايلبرج الحائزان على جائزة نوبل .

ووسط حفل صاخب جمع عديداً من الشخصيات العالمية .. التفوا حول الموائد الفاخرة افتتح فرع فى ألمانيا لجمعية أصدقاء إنماء وتعمير إسرائيل .. والتى أنشأها روتشيلد لدراسة إمكانية قيام المستثمرين الأوربيين للمساهمة فى المشروعات الإسرائيلية .

الأخطبوط الصهيونى

ولقد هبطت على إسرائيل من السماء أموال لا حصر لها وهى أموال من لا وارث لهم وهى الأموال التى أودعها أصحابها فى البنوك والشركات السويسرية ولم تطلب إما لوفاة أصحابها أو لموتهم فى المعسكرات النازية .. وقد نجحت الصهيونية العالمية

فى الحصول على هذه الأموال ضاربة عرض الحائط بنظام الإيداعات السرية المعمول بها فى سويسرا وتقدر قيمة هذه الأموال طبقاً لما أعلنته المصادر الرسمية السويسرية بالرغم من الشك فى صحة هذه التقديرات - بحوالى ٩,٤٧٠,٠٠٠ فرانك سويسرى !!

يسرقون .. وينهبون البنوك ويكسرون الخزائن الحديدية تحت حماية البوليس ولقد غادر مطار بكسمبرج بألمانيا الغربية يوم ٧ يونية ١٩٦٧ - حوالى ١٣٠ فنيا ومهندساً ألمانيا إلى إسرائيل على طائرة مؤجرة من شركة شوستر الألمانية للاشتراك فى عمليات تجميع وإصلاح المعدات الإسرائيلية - كما غادر فى اليوم نفسه - وفد مكون من ٣٠ مهندساً فى الطيران إلى إسرايل وبعدها بأسبوع سافر ١٨٠ مهندساً وفنياً ألمانياً إلى إسرائيل للقيام بعمليات إصلاح وصيانة المعدّات العسكرية تحت ستار أنهم يعملون فى نطاق الخدمات الطبية والعلاجية والتمريض من نوع آخر .. إنه التمريض الحربى !!

ونشرت صحيفة «بيلد» الألمانية الغربية فى عددها الصادر فى ١٠ يونيه ٦٧ تقول : «شحنا إلى إسرائيل قذائف صاروخية ضد الدبابات من طراز «كوبرا» يمكن توجيهها من بعيد وإن هذا السلاح الفتاك الذى ساعد إسرائيل فى الميدان العسكرى جزء من

التعويضات الألمانية التى نقدمها للحكومة الإسرائيلية . (٧١)

ومنذ قديم الزمان .. واليهود يعيشون فى ألمانيا فى يسر ورخاء أكثر من معاصريهم اليهود فى أى مكان آخر تحت حكم «فردريك» الثانى الذى اهتم بشئونهم وأقام لهم المدارس الخاصة بهم فكانت برلين هى المهد الأول لحركة الهسكالاه «التنوير والتثقيف» واليهودية !!

وكان الفيلسوف اليهودى الألمانى الشهير «موسى مندلسون» (١٧٢٩ - ١٧٨٦) همزة الوصل بين اليهود وثقافات الدول الأوربية فقاموا بترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية ومن هذه الترجمة حصل اليهود على مفهوم دنيوى مبسط للكتاب المقدس .. والفيلسوف مندلسون قام بنشر مذهبه «المذهب العقلى» الذى نبذ فيه القومية وأنكر على الشعب اليهودى الفردية العنصرية وبعد قرن من الزمان جاء الكتاب لروسى «بيرتس سمولنسكين» ينفى وجهة نظر مندلسون ومذهبه العقلى وأعرب عن اعتقاده بأن اليهود ليسوا مجرد طائفة دينية بل هم أمة وأن فلسطين هى منطقة الخلاص الذى سيحقق فيها اليهود تحررهم السياسى والأخلاقى والعقائدى !! (٧٢)

---

(٧١) صحيفة «بيلد» الألمانية الغربية ، ١٠ يونيو ١٩٦٧ .

(٧٢) موسى مندلسون : المذهب العقلى .

ولمندلسون أيضاً كتاب «شرح وتفسير على التوراة» ويعتبر النقاد هذين العملين الأدبيين فاتحة لفترة الهاسكالا التي تعتبر فترة خصب ونماء من فترات التاريخ اليهودى !!

الأدب العبــرى

ولقد أسس اربعة من المثقفين الألمان اليهود وهم «مثل بريسلون - اسحق انجل - وشمعون صمويل - فريد لاندر «مجلة شهرية نشرت باللغة العربية فى «كونتجيربرج» وصدر العدد الأول منها فى مارس سنة ١٧٨٣ وكان اسمها «الشامل» فكانت تشمل المقالات وقصائد الشعر والتراجم والموضوعات العلمية والسياسية والاجتماعية .. وكانت هيئة تحرير هذه المجلة طائفة ونخبة من الأدباء والشعراء والكتاب اليهود .. من جنسيات مختلفة فكتب فيها الشاعر اليهودى الهولندى «دافيد فرانكو» والكاتب اليهودى الفرنسى «موسى انشايم» وهيرتس همبرج - سليمان دانيو - «من يهود بوهيما فكانت هذه المجلة هى النبض الحقيق لحركة الهاسكالاه والتنوير .

ولقد برز من الأدباء الكاتب الألمانى اليهودى «نفتالى هيرتس فيسسيلى» (١٧٢٥ - ١٨٠٥) ، ولقد ولد هذا الشاعر والأديب فى همبرج وأمضى طفولته فى الدانمارك حيث كان أبوه من بلاط الملك وهو يعتبر امتداداً لمدرسة الفليسوف الألمانى

«موسى مندلسون» وكانت أول أعماله الأدبية سنة ١٧٨٢ وهى رسائله الثمانية التى يحارب فيها الربانيين الأرثوذكس فى النمسا والمانيا الذين كانوا يعارضون ملك النمسا «جوسيف الثانى» .

ورسالتها الأولى نداء إلى يهود النمسا والمجر لاغتنام فرصة تحسين التعليم والاستفادة من فرمان العفو الذى أصدره ملك النمسا .

واكتسب شهرته من خلال كتاباته للقصائد الشعرية ومعظمها دينية وأسلوبه الشعرى مهد الطريق للشعر العبرى الحديث .. وصيغته الشعرية أصبحت مدرسة للشعراء عرفت باسم مدرسة فيلسى الشعرية وهى صياغة تماثل أسلوب الكتاب المقدس بل إن قصيدته الشهيرة قصائد المجد التى نشرها سنة ١٧٨٩ أول قصيدة حماسية فى الأدب العبرى ففيها يعالج قصة خروج اليهود من مصر فية ستة أجزاء الجزء الأول يحكى قصة اضطهاد فرعون لليهود ومولد موسى وطفولته وخروجه وزواجه من صبورا ابنة يثرو – والجزء الثانى – العليقة المستغلة التى بلغ من خلالها بالرسالة ورحلته إلى مصر وفى الثالث والرابع والأعاجيب التى صنعها الرب والتى تجلت فى المصائب العشر وينتهى بالخامس والسادس بقصة عبور البحر الأحمر وهبوط

المن والسلوى عليهم فى الصحراء وانبثاق المياه من الصخرة ثم ظهور الرسالة فى سيناء .

ومن الطريف أن كتابه الشهير الذى يعتبر الإحياء الحقيقى وبعث الروح فى التراث العبرى القديم أسماه «بالجنة المغلقة» وكأنه أحس بأن بعد موته بحوالى ١٤٠ سنة ستكون المانيا هى الجنة المغلقة فى وجه اليهود .. وأنها سوف تتحول - بفضل أفران هتلر الشهيرة - إلى جحهنم لليهود !!

وهناك كاتب آخر ألمانى يهودى قصصه كانت تترجم فى باريس وتحرق فى برلين فى وقت واحد !!

وقد أوصى فى نهاية حياته أحد أصدقائه المقربين بإحراق كل أوراقه بما فيها مؤلفاته ولكن صديقه رفض تنفيذ الوصية وقام بنشر هذه المؤلفات على الناس ، وعندما جاء هتلر إلى الحكم أحرق مؤلفات هذا الكاتب فكان هتلر قد نفذ الوصية التى طلبها من صديقه - وبالطبع فإن هتلر أحرق هذه المؤلفات ضمن سياسته المعادية للثقافة والحرية العقلية والأدبية .

هذا الكاتب هو الألمانى التشيكى الأصل «فرانز كافا» وهو فى الوقت نفسه واحد من أكبر الروائيين والقصاصين العالميين و وكافكا من أسرة يهودية تعمل بالتجارة ولقد تأثر بالتقاليد اليهودية المتوارثة فى مشرق أوربا ووسطها .. والتحق بكلية

الحقوق والفقه وبعد تخرجه اشتغل فترة فى إحدى شركات التأمين ، وكان مغرماً منذ الصغر بقراءة كتب الرحلات والسير والتراجم وكان كتاب سيرة حياة «فرانكلين» أحد كتبه المفضلة – وكان هذا الكتاب – الصديق الوفى حتى فى حجرة نومه فكان يقرأ بعض المقطوعات من هذا الكتاب بصوت مرتفع ثم يغفو فى سبات عميق .

ولقد وجد فرانز كافكا دين الأسرة والشعب اليهودى وجحد الدين نفسه بعد ذلك بحقائقه ودقائقه الدينية والتقاليد اليهودية القديمة وكان شديد الخلاف مع أبيه لدرجة أنه أنكر سيرة أبيه فى الدين والأسرة !!

ولقد نشر قليلاً من إنتاجه الأدبى بعد إلحاح من صديق عمره «ماكس برود» فى المجلات والصحف وعلى الرغم من أن كافكا قد أمعن فى دراسة التلمود إلاّ أن أدبه لا يقترب من الأدب الإسرائيلى أو الأفكار الإسرائيلية .. وهذا ما نلاحظه فى قصصه الثلاث الكبرى الشهيرة «القضية – القصر – أمريكا» .

وعمر «كافكا» كله ٤٠ سنة ولقد توفى كافكا سنة ١٩٢٤ وهو فى الأربعين من العمر وإذا كان النبى موسى قد تاه فى سيناء أربعين سنة – فإن كافكا – قد تاه هو الآخر أربعين سنة عن أدب إسرائيل الأسود !! (٧٣)

---

(٧٣) فرانز كافكا : امريكا ، دار الهلال

ما تا هاري ملكة الجواسيس

في خلال الحرب العالمية الأولي احتاجت المخابرات الألمانية إلي جاسوس يخدع الإنجليز والفرنسيين وخطر ببال الهرياچو الموظف الحكومى الخطير - أن الراقصة «ماتا هارى» اليهودية التى كانت رقصاتها حديث باريس - هى الشخص المطلوب ، وكانت رقصاتها قد أتاحت لها الفرصة للتعرف على الجواسيس والمخربين وقطط الليل !!

ولما سألها الهرياجو : - هل لديها الشجاعة الكافية لأن تشتغل بالجاسوسية سحقت بقية سيجارتها فى كفها لتبين له مبلغ احتمالها للألم واستهانتها به وقالت إننى يا سيدى يهودية .. ألم تسمع عن اليهود !! .. وبعد أن اتمت دراستها فى مدرسة الجواسيس الملكية حيث تدربت على أساليب الجاسوسية الرهيبة عادت إلى باريس مزودة بأدوات صناعتها أى بمبسم سيجارة طوله ١٥ سم .. وزجاجة عطر جذاب وزجاجة كبيرة من الحبر السرى ودولادب من الملابس الحريرية السوداء التى تقل عن مقاسها بثلاث درجات !!

وكانت لها موهبة خاصة فى اختيار ضحاياها والمرة الوحيدة التى اخطأت فى هذا الاختيار كانت حين استدرجت إلى غرفتها سيداً مهيباً فى ملابس رسمية وقد حسبته جنرالاً ولكنها تبينت

أخيراً أنه بواب فندق يهودى !!

وسرعان ما عوضت هذا الخطأ بإيقاع وزير خارجية فرنسا فى شرك غرامها وعن طريقه تمكنت من أن تبعث برسائلها خارج فرنسا فى الحقيبة الدبلوماسية تحت أنظار الدول المتحالفة!!

وكان السبب فى سقوطها أخيراً . هو محاولتها التجسس لحساب الألمان والفرنسيين فى وقت واحد !! واشتبه الفرنسيون فى أمرها فقبضوا عليها وكانت نهايتها الإعدام رمياً بالرصاص .

وكانت ماتا هارى حتى آخر لحظة .. هادئة مطمئنة .. واثقة بأن جنود الإعدام لن يستطيعوا إطلاق الرصاص حين يعلمون أنها الهدف .. ولكن أملها لم يلبث أن تلاشى ذلك لأن الضباط الفرنسيين الذين يعرفون شعور جنودهم نحو الجنس اللطيف لم يعصبوا عينى ماتا فى لحظة الإعدام وإنما عصبوا أعين الجنود!!

وآخر رواية للكاتب اليهودى الألمانى ميكائيل حاييم اسمها «مياه أسوان» وحاييم يكره المصريين ويود فى روايته أن تغرق مصر .. فى طوفان يقضى على كل المصريين فأحداث هذه الرواية تبدأ بأن المصريين يصحون من نومهم فيجدون العلم الإسرائيلى مرفوعاً على منصة السد العالى !!

بدون مقدمات وبدون سابق إنذار .. ويتساءل المصريون من الدهشة .. كيف حدث ذلك ؟ وأن موشى ديان يواصل انتصاراته الحربية ويصل إلى رئاسة وزراء إسرائيل أما الذى يخلف موشى ديان فى وزارة الدفاع فهى امرأة اسمها «ايمير» !! وأن «مناحم بيجين» أصبح قائماً بالأعمال فى القاهرة وأن شارون هو السفير الإسرائيلى فى القاهرة !!

وأن لعنة الفراعنة قد حلت بالمصريين .. فمياه النيل تسربت من تحت الأرض واتجهت إلى البحر الأحمر وانخفض منسوب النيل - وابتلعت الصحراء المياه من كل مكان - ويموت الشعب المصرى من العطش - وهنا تتحقق نبوءة أشعياء الشهيرة !!

ولكن فجأة منسوب بحيرة «ناصر» يرتفع ويأتى الرئيس السادات وسيبنى سفينة نوح ويجمع فوقها كل المصريين ومياه النيل ترتفع مرة أخرى وتنتشر الأمراض والأوبئة ويموت المصريون من العطش والجوع !!.

ويصدر الرئيسى السادات قراراً لا مفر منه بأن يهدم المصريون الأهرامات وينقلوا أحجارها لحماية مداخل القاهرة .. وتبعث إسرائيل بمعونات إلى القاهرة وترسل عالماً ألمانياً يدرس فى معهد وايزمان بتل أبيب .. هذا العالم اخترع مادة اسمها «برامثيلين» وهى مادة تحول دون عملية التبخير وتخلق من

ذرات المياه أرضاً من النايلون والبلاستيك . ولكن هذا العالم الألمانى ينتحر فجأة فى فندق ونتربالاس فى الأقصر !! ويحاول المصريون أن يبحثوا عن مادة البرامثيلين التى اخترعها الألمانى المنتحر ولكن دون جدوى فتغرق مصر كلها وتصبح مياهاً إقليمية تابعة لإسرائيل !!

هذه هى رواية الكاتب الألمانى اليهودى «ميكائيل حاييم» الذى غرق فى طوفان من الخوف والرهبة والهلع أيام معسكرات النازى !!

وهذه الرواية لا تعدو أن تكون أحلام يهودى .. لأن ميكائيل حاييم نام ونسى نافذة حجرته مفتوحة فدخل الهواء إليها وتطايرات الأوراق .. وسقط الحبر السرى على الأرض وسقطت الأغطية من فوقه وهو نائم .. فتعرى فكانت روايته أضغاث أحلام يهودى !

* * *

الفهـرس

الموضوع | صفحة

الموضوع صفحة

* * *